أجمل ما كتب شاعر

الجندول

على محمود طه

اختيار وتقديم

د. سمير سرحان د. محمد عنانى

اهداءات ٢٠٠٢

الشاعر/ عبد العليم القباني

الإسكندرية

أجمل ما كتب شاعر الجندول

مهرجان القراءة للجميع ٩٦

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(روائع الأدب العربى)

أجمل ما كتب شاعر
الجندول
على محمود طه

لوحة الغلاف
للفنان جمال قطب

تصميم الغلاف
الانجاز الطباعى والفنى
محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الحكم المحلى

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب

على سبيل التقديم...

لأن المعرفة أهم من الثروة وأهم من القوة فى عالمنا المعاصر وهى الركيزة الأساسية فى بناء المجتمعات لمواكبة عصر المعلومات.. من هنا كان مهرجان القراءة للجميع دلالة على الرغبة الطموحة فى تنمية عالم القراءة لدى الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً ورجالاً ونساءً..

وكان صدور مكتبة الأسرة ضمن مهرجان القراءة للجميع منذ عام ١٩٩٤ إضافة بالغة الأهمية لهذا المهرجان كأضخم مشروع نشر لروائع الأدب العربى من أعمال فكرية وإبداعية وأيضاً تراث الإنسانية الذى شكل مسيرة الحضارة الإنسانية مما يعتبر مواجهة حقيقية للأفكار المدمرة.

هكذا كانت مكتبة الأسرة نافذة مضيئة لشباب هذه الأمة على منافذ الثقافة الحقيقية فى الشرق والغرب وعلى ما أنتجته عبقرية هذه الأمة عبر مسيرتها التنويرية والحضارية..

إن مئات العناوين وملايين النسخ من أهم منابع الفكر والثقافة والإبداع التى تطرحها مكتبة الأسرة فى الأسواق بأسعار رمزية أثبتت التجربة أن الأيدى تتخاطفها وتنتظرها فى منافذ البيع ولدى باعة الصحف لهو مظهر حضارى رائع يشهد للمواطن المصرى بالجدية اللازمة والرغبة الأكيدة فى الإسهام فى ركب الحضارة الإنسانية على أن يأخذ مكانه اللائق بين الأمم فى عالم أصبحت السيادة فيه لمن يملك المعرفة وليس لمن يملك القوة.

د. سمير سرحان

تقديـــــم

لا يكاد على محمود طه يحتاج إلى تقديم ، فالجيل الذى انتمى إليه يألف شعره الرقيق وحبه للجمال والطبيعة والحرية ، ويكاد يرى فيه مثلاً لكل ما كنا نصبو إليه صغاراً حين نذكر فنون أوربا وطبيعتها الخلابة ، والجيل التالى لنا يعرفه من قصائده التى سمعها من محمد عبد الوهاب مثل الجندول وكليوباترة ، ونحن وهم لا نملك إلا الشجن عندما نسمع قصيدته الأخرى التى يغنيها عبد الوهاب أيضاً «أخى جاوز الظالمون المدى ...» والتى تتصدر هذه المجموعة .

ولمن لا يعرفون الكثير عن صائغ هذه الدرر البديعة ، نقدم لمحة موجزة عن حياته وشعره ، فالأصل هو النص الشعرى ، وهذا هو لب الكتاب . ولد على محمود طه فى المنصورة عام ١٩٠٢ وتعلم أولاً فى الكتّاب ثم دخل المدرسة الابتدائية ، وبعد أن نال شهادتها ، وُلد عنده – كما يقول شوقى ضيف (**الأدب العربى المعاصر فى مصر**) «شغف بالعلوم التصنيعية ، فرفض الإلتحاق بالمدرسة الثانوية وآثر الإلتحاق بمدرسة الفنون التطبيقية يدرس فيها الهندسة . وفى سنة ١٩٢٤ تخرج حاملاً شهادة تؤهله لمزاولة مهنة هندسة المبانى» .

وقد أقبل على الوظيفة الحكومية لأنها كانت توفر له الوقت الكافى للتأمل والقراءة ، فعمل أولاً موظفاً بسيطاً بهندسة المبانى فى بلدته المنصورة ، وبدأ ينشر قصائده ويلفت الأنظار

إليه ، ولم يبلغ الخامسة والعشرين حتى كان قد تمكن من نشر بعض أشعاره فى جريدة السياسة الأسبوعية ، وساهمت قصائده تلك مع ما كانت الجريدة تنشره فى إذكاء الروح الرومانسية التى كانت تملأ الجو آنذاك ، وسرعان ما أصبح علماً من أعلام مدرسة أبولو التى أرست أسس الرومانسية فى الشعر العربى ، والطريف أنه كان يحقق المثل الأعلى الرومانسى الذى كان يريده أصحاب مدرسة الديوان (العقاد وشكرى والمازنى) وهو الصدق – وتحديداً ما كان العقاد ينعى فقدانه فى شعر شوقى أى عدم إفصاح الشعر عن الشاعر .

فكان على محمود طه فى حياته مثالاً لما يقوله فى شعره ، وهذه هى شهادة أحمد حسن الزيات :

كان شاباً منضور الطلعة ، مسجور العاطفة ، مسحور المخيلة ، لايبصر غير الجمال ، ولا ينشد غير الحب ، ولا يطلب غير اللذة ، ولا يحسب الوجود إلا قصيدة من الغزل السماوى ينشدها الدهر ويرقص عليها الفلك .

«كان كالفراشة الجميلة الهائمة فى الحقول تحوم على الزهر، وترف على الماء ، وتخفق على العشب ، وتسقط على النور ، لا تكاد تعرف لها بغية غير السبوح ، ولا لذة إلا التنقل . ثم تتبعته بعد ذلك فى أطواره وآثاره ، فإذا الفراشة الهائمة على أرباض المنصورة تصبح الملاح التائه فى خضم الحياة ، والأرواح الشاردة فى آفاق الوجود ، والأرواح والأشباح فى أطباق اللانهاية وإذا الشاعر الناشئ يغدو الشاعر المحلق تارة

To: www.al-mostafa.com

بجناح الملك ، وتارة بجناح الشيطان ، يشق الغيب ويقتحم الأثير ، ويصل السماء بالأرض ، ويجمع الملائكة والشياطين بالناس» .

ويجدر بنا أن نشير هنا إلى الدقة العلمية التى تحراها طه حسين عندما يتحدث عن الشاعر فى **حديث الأربعاء** فهو يتحدث عن شخصية فنية ، بمعنى القناع الذى يلبسه الشاعر فى شعره ويخفى وراءه وجهه الحقيقى ، مهما يكن من شبه بينهما ، فالشعر الذى يقوله الشاعر ليس الشاعر ، ولذلك فطه حسين سباق فى هذا المجال النقدى الحديث .

على أى حال ، ظل على محمود طه يتقلب فى المناصب الحكومية ، فانتقل إلى وظيفة مدير المعرض الخاص بوزارة التجارة ، ثم استقر نهائياً فى القاهرة مديراً لمكتب الوزير ، وبعدها التحق بسكرتارية مجلس النواب ، مما هيأ له التنقل فى القاهرة التى كانت ما تزال روضاً أريضاً ، ومنها كان يسافر إلى خارج مصر بانتظام ويتقن عدة لغات أوربية فى سفراته تلك، ويخرج الديوان بعد الديوان ، ولكن الوظيفة الحكومية التى قربته من السياسة تتنكر له فيستعيض عنها بقرض الشعر ، وعندما يعين آخر الأمر وكيلاً لدار الكتب عام ١٩٤٩ ويبدأفى التفرغ للنظم ، يعاجله القدر المحتوم فيرحل عن الدنيا فى آخر العام (١٩٤٩/١١/١٧) .

والمفتاح لشعر هذا الشاعر هو فكرة الفردية الرومانسية والحرية التى لا تتأتى بطبيعة الحال إلا بتوافر الموارد المادية ،

التى تحرر الفرد من الحاجة ولا تشعره بضغوط الفاقة ، فقد ولد لأسرة ميسورة ونعم فى صباه ورجولته بما يكفى من الموارد للترحال والتنقل ، بحيث لم يكن يستطيع أن يرى سوى الجمال ، وأن يخصص قراءاته فى الآداب الأوربية للمشكلات الشعرية التى شغلت الرومانسيين ، عن الإنسان والوجود والفن وما يرتبط بذلك كله من إعمال للخيال الذى هو سلاح الرومانسية الماضى . وهذا ما يقوله طه حسين :

«إن شخصيته الفنية محببة إلىّ حقاً ، فيها عناصر تعجبنى كل الإعجاب ، وتكاد تفتننى وتستهوينى ، فيها خفة الروح ، وعذوبة النفس ، وفيها هذه الحيرة العميقة ، الطويلة العريضة ، التى لا حدّ لها ، كأنها محيط لم يوجد على الأرض . هذه الحيرة التى تصور الشاعر ملاحاً تائهاً حقاً ، والتى تقذفه من شك إلى شك ، ومن وهم إلى وهم ، ومن خيال إلى خيال ، والتى لا تستقر به على حقيقة حتى تزعجه عنها إزعاجاً وتدفعه عنها دفعاً ، وتقذف به إلى حقيقة أخرى لا يكاد يدنو منها ويتبيّنها بعض الشئ حتى يراها أشد هولاً وأعظم نكراً ، وإذا هو يهرب منها ويجدّ فى الهرب» .

وتأثير شعراء الغرب فيه أوضح من أن يحتاج إلى برهان ، فهو يترجم قصيدة «إلى قبره» للشاعر الانجليزى شلى ، وقصيدة البحيرة للامارتين ، ويقول طه حسين إنه يذكره «تذكيراً قوياً بموسيه» (**حديث الأربعاء** – ص ١٤٦) – وإن لم يكن ذلك التأثير مقصوراً عليه ، فجميع أصحاب مدرسة أبولو قد تأثروا بالغرب وبأنواع النظم الغربى .

وسوف يدرك القارئ لأوّل وهلة مدى اختلاف شعر على محمود طه عن شعر شاعر مثل شوقى مثلاً ، فشاعرنا هنا من أول من ثاروا على وحدة القافية (بل ووحدة البحر – انظر **فلسفة وخيال**) ناشداً فى ذلك وحدة القصيدة أى الوحدة النفسية التى اقتضته ألا يمزج «أغراض» الشعر بأسلوب شوقى ، ولا أن يسعى لوضع الأبيات التى تشبه الحكم المأثورة ، بل أن يسعى إلى أن تكون كل قصيدة – كما يقول الدكتور هيكل فى **ثورة الأدب** (ص٦٠) بمثابة «فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب ، فى صيغة متسقة من اللفظ ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها، من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة».

إن إدراك هذا الجهد الذى بذله على محمود طه يفسر لنا كيف وجد المحدثون ، الذين كانوا يبنون بنيانهم على أسس مدرسة أبولو ، يسراً فى صياغة الشعر الجديد ، والانتقال بيسر أكبر إلى وحدة التفعيلة – التى كانت النقلة الطبيعية من حركة التحرر الرومانسى إلى حركة التحرر الحديث فى الأدبين الغربى والعربى جميعاً .

ورغم توقف مجلة أبولو عن الصدور عام ١٩٣٥ فقد استمر على محمود طه يرفع لواءها فى دواوينه المتتالية التى تزامن صدور ستة منها مع سنوات الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحس لهذه الحرب أثراً فى شعره ، وإن كنت تسمع أصداء من ينشد للإنسان ويهفو للسلم والحرية ، معلياً قيمة الجمال باعتبارها القيمة الإنسانية العليا (مثل الشاعر

الإنجليزى جون كيتس) وكما يقول الدكتور محمد مندور ، كانت «حاسته الجمالية» هى التى تقيه الابتذال ، حتى حينما يبدو للقارئ أنه يبالغ فى الأوصاف الحسية أو يتحدث عن الخمر (**قضايا جديدة فى الأدب الحديث**) .

ومن تراث الرومانسية الغربية استقى على محمود طه صورة «الشاعر» التى كان العقاد يعليها من قبل ، فهما فى هذا يتفقان رغم اختلاف مذاهبهما الشعرية ، فعلى محمود طه يرى مثل شلى أن الشاعر هو وحده القادر على فهم روح الإنسان ، وأنه وحده القادر على ترجمة هذا الفهم إلى وشائج صلة بين الأرواح ، وإذا كان العقاد ينسب هذه القدرة إلى «الشعور» (مثل وردزورث) فإن شلى هو أيضاً يدين بدين كبير إلى أستاذ الرومانسية الأكبر وردزورث .

وبعد فهذه مختارات قليلة نرجو أن تطفئ غلة الظامئ إلى جمال الشعر العربى الحديث وأن تكون مقدمة لقراءة دواوين الشاعر – ونأمل أن يرى الجيل الجديد فيه ما كنا نراه ، رغم طوفان الشعر الجديد .

د. سمير سرحان

د. محمد عنانى

١ – فلسطين

أخى ، جـــاوزَ الظَّالمونَ المَدَى
فـحقٌ الجـهـادُ ، وحَقَّ الفِدا
أنتـركـهُمْ يَغـصـبـونَ العُروبةَ
مـــجـــدَ الأبوَّةِ والســـؤددا ؟
وليـسـوا بِغَيْرِ صليلِ السيـوفِ
يُجـيـبـونَ صـوتاً لنا أو صـدى
فـجـرِّدْ حـسـامَكَ من غـمـدِهِ
فليسَ لَهُ ، بَعْدُ ، أن يُغـمـدا
* * *
أخى ، أيُّهـا العـربىُّ الأبىُّ
أرى اليـومَ مـوعـدَنَا لا الغَدا
أخى ، أقـبلَ الشـرقُ فى أمَّةٍ
تردُّ الضَّلالَ وتُحـيـى الهُدى
أخى ، إنَّ فى القدسِ أختاً لنا
أعَدَّ لهـا الذَّابحـونَ المُدى
صـبـرنا على غَدْرهِمْ قـادرينَ
وكـنـا لَهُمْ قَدَراً مُرصـــــدا
طَلَعْنا عليـــهمْ طلوعَ المنونِ
فطاروا هَبـاءً ، وصـاروا سُدى

أخى ، قُمْ إلى قبلةِ المشرقَيْنِ
لنحمى الكنيسةَ والمسجدا
أخى ، قُمْ إليها نشقُّ الغمارَ
دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ، ظمئتْ للقتالِ السيوفُ
فأوردْ شَبَاها الدمَ المُصْعدا
أخى ، إن جَرَى فى ثراها دمى
وشبَّ الضرامُ بها موقدا
ففتِّشْ على مهجةٍ حُرَّة
أبَتْ أن يَمُرَّ عليها العِدا
وَخُذْ رايةَ الحقِّ من قبضةٍ
جلاها الوَغَى ، ونماها النَّدى
وَقَبِّلْ شهيداً على أرضها
دعا باسمِها اللهَ واستشهدا
فلسطينُ يَفدى حِماكِ الشبابُ
وجلُّ الفدائى والمُفتدى
فلسطينُ تحميكِ منا الصدورُ
فإمَّا الحياة وإمَّا الرَّدى

٢ - مصر

هَوىَ لكِ فـيــهِ كلُّ ردىً يُحَبُّ
فَديتُكِ ! هل وراءَ الموتِ حُبُّ ؟
فديتُكِ مصرُ ، كلُّ فتىً مشوقٌ
إليكِ ، وكلُّ شـيخ فـيكِ صَبُّ
ويحـلـمُ بـالـفِدَى طـفـلٌ فـطيـمٌ
وكلُّ رضـيـعـةٍ فى المَهْدِ تحـبُو
أراكِ و أينمـــا ولَّيتُ وجـــهى
أرى مـــهَجـاً لوجـــهكِ تَشْرئبُّ
وأرواحـــاً عليكِ مـــحـــوِّمـــات
لها فـوقَ الضِّفافِ خُطىً ووثْبُ
عليـــهـا من دَمِ الغـــادينَ غـــارٌ
له بيـــديكِ تضـــفـــيـــرٌ وعَضبُ
حَمَتْكِ صـــــدورُها يومَ التَّنادى
ووقَّتْكِ الليـــــــالىَ وهـىَ حَرْبُ
إذا رامـــتكِ عـــاديةٌ وشـــقَّتْ
فـضـــاءَكِ غـيلةً ورمـــاكِ خَطْبُ
دَعَتْ بالنَّهـــــرِ فَهُوَ لَظىً ووقْدٌ
وبالنِّسمات فهى حصىً وَحصْبُ

وبالشـجـرِ المنوَّرِ فـهـو غـيلٌ
وكلُّ غُصـــــونِهِ ظُفـــرٌ وخِلْبُ
حـقـائقُ عن يدِ الإيمـانِ ترمى
صــواعقَ وَمْضُهـا رُجْمٌ وشُهْبُ
لهـا فى مـهـجـةِ الجـبَّارِ فَتكٌ
وفى عـينيـهِ إيمـاضٌ وسكْبُ
صَنائعُ كـــــالغنائيَّاتِ يَشْدُو
بها شرقٌ ، ويُلْقِى السمعَ غَرْبُ

٣ - أغنية الجندول

فى كَرنڤال ڤينيسيَا

أين منْ عـــينىَّ هاتيكَ المجـــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أينَ عُشَّاقُكِ سُمَّارُ الليـــــالى
أين من واديكِ ، يا مهدَ الجمالِ
موكبُ الغيدِ وعيدُ الكرنڤـــالِ
وسُرَى الجُندولِ فى عَرْضِ القنالِ
بين كأسٍ يتشهَّى الكرمُ خمرَهْ
وحبيبٍ يتمنَّى الكأسُ ثغرَهْ
إلتقتْ عـــينى بهِ أوَّلَ مـــرَّهْ
فـــعـــرفتُ الحبَّ من أوَّلِ نظرَهْ
أينَ من عـــينىَّ هاتيكَ المجـــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
مرَّ بى مُستضحِكاً فى قُرْبِ سَاقى
يَمـــزُجُ الراحَ بأقـــداحٍ رِقـــاقِ
قـــد قَصَدْناهُ على غَيْرِ اتفـــاقِ
فنظرنا ، وابتـــسـمنا للتَّلاقى

وهو يَسـتـهـدِى على المَفْرِقِ زهرَهْ
ويُسـوِّى بِيَدِ الـفِتْنَةِ شَعْرَهْ
حـينَ مـسَّتْ شَفَتِى أوَّلُ قطرَهْ
خِلْتُهُ ذوَّبَ فـى كـاسـىَ عِطْرَهْ

أينَ منْ عـينىَّ هاتيكَ المجـالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
قلتُ ، والنشوةُ تسرى فى لسانى :
هاجتِ الذكـرى ، فـأينَ الهَرَمـانِ ؟
أين وادى السِّحرِ صـداحَ المغانى ؟
أينَ مـاءُ النيل ؟ أين الضفَّتَان ؟
آهِ ، لو كنتَ مـعى نخـتـالُ عَبْرَهْ
بشـراعٍ تَسـبحُ الأنجمُ إثْرَهْ
حـيث يَروى الموجُ فى أرخمِ نَبْرَهْ
حُلْمَ ليلٍ من ليـالى كليـوبتـرَهْ

أينَ منْ عـينىَّ هاتيكَ المجـالى
يا عـروسَ البحـرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
أيهـا الملاحُ ، قِفْ بينَ الجـسـورِ
فـتنةِ الدنيـا ، وأحـلامِ الدهورِ

صـــــفْقَ الموجُ لولدانٍ وحـــــورِ
يُغــرقــونَ اللَّيْلَ فى يَنبــوعِ نورِ
مـــــا ترى الأغْيَدَ وضّاءَ الأسِرّهْ ؟
دقَّ بـالسّاقِ وقـــــد أسْلَمَ صَدْرَهْ
لِمُحبٍّ لفَّ بالســـــاعِدِ خَصْرَهْ ؟
ليتَ هذا الليلَ لا يُطْلِعُ فــجــرَهْ !
أينَ منْ عـــينىَّ هاتيكَ المجـــالى
يا عروسَ البحرِ ، يا حُلْمَ الخيالِ
رَقَصَ الجُندولُ كـــالنَّجْمِ الوضىِّ
فاشْدُ ، يا ملاحُ ، بالصوتِ الشجىِّ
وتَرَنَّمْ بـالنشـــــيـــــدِ الوثَنىِّ
هذهِ الليلةُ حُلْمُ العَبـــــقـــــرىِّ

شـاعتِ الفـرحـةُ فـيـهـا والمَسـرّهْ
وجَلا الحُبُّ عـلـى الـعُشّاق سِرّهْ
يَمْنـةً مِلْ بـى ، عـلـى المـاءِ ، ويَسْرَهْ
إنَّ لـلـجـنـدولِ تحتَ الـلـيـلِ سِحْرَهْ
أينَ ، يـا ڤينيسيا ، تلك المجـالى ؟
أينَ عُشـــاقُكِ سُمَّارُ الليـــالى ؟

أينَ من عـينـىَّ أطيـافُ الجـمـالِ ؟
مَوْكبُ الغْيدِ وعـيدُ الكرنڤـالِ ؟
يا عروسَ البحر ، يا حُلْمَ الخَيالِ !!

٤ - ليالى كليوبتره

كليوبترا ! أىُّ حُلْمٍ من لَياليكِ الحسانِ
طافَ بالمَوْجِ فغنّى ، وتغَنّى الشاطئانِ
وَهفَا كلُّ فؤادٍ ، وشدَا كلُّ لسانِ :
هذهِ فاتنةُ الدُّنْيا وحسناءُ الزّمانِ
بُعِثَتْ فى زورقٍ مُسْتَلْهَمٍ من كلِّ فنِّ
مَرِحِ المجدافِ يختالُ بحوراءَ تُغنّى
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !
نبأةٌ كالكأسِ دارتْ بين عُشّاقٍ سُكارَى
سَبَقَتْ كلَّ جَناحٍ فى سماءِ النيلِ طارا
تحملُ الفتنةَ ، والفرحةَ ، والوجدَ المُثَارا
حلوةً صافيةَ اللّحْن كأحْلامِ العذارى
حُلْمُ عَذراءَ دعاها حبُّها ذاتَ مساءِ
فتَغَنّتْ بشراعٍ من خَيالِ الشعراءِ
يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

وتَجَلَّى الزورقُ الصاعدُ نشوانَ يَميدُ
يَتهدَّاهُ على الموجِ نَواتيٌّ عبيدُ
المجاديفُ بأيديهمْ ، هتافٌ ، ونشيدُ
ومُصلُّونَ لَهُمْ فى النهرِ مِحرابٌ عتيدُ
سَحرَتْهم رَوْعَةُ اللَّيلِ فَهُمْ خَلْقٌ جَديدُ
كلُّهمْ رَبٌّ يُغَنِّى وإلهٌ يَستعيدُ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

إصدَحى ، أيتها الأرواحُ ، باللَّحْنِ البديعِ
إمرَحى ، يا راقصاتُ الضوءِ ، بالموْجِ الخليعِ
قَبِّلى ، تحتَ شراعى ، حُلُمَ الفنِّ الرفيعِ
زورقاً بينَ ضفافِ النيلِ فى ليلِ الرَّبيعِ
رنَّحَتْهُ موجةٌ تَلعبُ فى ضوءِ النُّجومِ
وتنادى بشعاعٍ راقصٍ فوقَ الغيومِ

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

ليلُنا خمرٌ وأشواقٌ تُغَنِّى حولنا
وشراعٌ سابحٌ فى النُّورِ يَرْعَى ظِلَّنا

كانَ فى اللَّيْلِ سُكارَى ، وأفاقوا قبلَنَا
لَيْتَهُمْ قد عَرَفوا الحبَّ فباتوا مثْلَنَا

كلَّما غرَّدَ كأسٌ شربوا الخمرةَ لحناً
يا حبيبى ، كلُّ ما فى اللَّيلِ روحٌ يتغنَّى

هاتِ كأسى ، إنها ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

يا ضِفافَ النيلِ باللهِ ويا خُضْرَ الروابى
هل رأيتنَّ على النَهْرِ فتىً غَضَّ الإهابِ
أسمرَ الجبهةِ كالخمرةِ فى النُّورِ المُذابِ
سابحاً فى زورقٍ من صُنْع أحلامِ الشبابِ ؟

إنْ يكُنْ مَرَّ وَحَيًّا من بعيدٍ أو قريبِ
فَصِفيهِ ، وأعيدى وصْفَهُ ، فهو حبيبى!

يا حَبيبى ، هذهِ ليلةُ حُبِّى
آهِ لو شاركتَنى أفراحَ قَلْبى !

أنتِ يا من عُدْتِ بالذكرى وأحلامِ الليالى
يا ابنةَ النَّهر الذى غَنَّاهُ أربابُ الخيالِ
وتمنَّتْ فيهِ لو تسبحُ ربَّاتُ الجمالِ
موجهُ الشَّادى عشيقُ النُّور ، معبودُ الظِّلالِ

لم يَزَلْ يَروِى ، وتُصغى للرواياتِ الدهورُ
والضفافُ الخضْرُ سكرى ، والسُّنى كأسٌ تدورُ
حُـلُـمٌ لـم تـرْوِهِ لـيـلـةُ حُبٍّ
فاذكريه ، واسمعى أفراحَ قلبى !

٥ - العام الهجرى الجديد

غَنِّ بالهجرة : عاماً بعدَ عامِ
وادْعُ للحقِّ ، وبشِّرْ بالسلامِ
وترسَّلْ ، يا قَصيدى ، نَغَماً
وتنقَّلْ بين مَوْجٍ و غمامِ
صوتُكَ الحقُّ ، فلا يأخُذْكَ ما
فى نواحى الأرضِ من بَغْيٍ و ذامِ
كُنْ بشيرَ الحبِّ والنورِ إلى
مُهَجٍ كلْمَى ، وأكبادٍ دَوامى
هَجَرَتْ أوطانَهَا واغتربتْ
فى مثالىٍّ من المبدإِ سامِ
أنِفَتْ عيشَ الرقيقِ المجتَبى
وأَبَتْ ذُلَّ الضميرِ المستضامِ
يا دُعاةَ الحقِّ : هذى محنةٌ
تُشْعِلُ الرُوحَ بمشبوبِ الضرامِ
هذهِ حربُ حياةٍ ، أو حِمامِ
وصراعُ الخيرِ ، والشرِّ العُقامِ

خاضها الإسلامُ فرداً ، وهَدَى

بيراعٍ ، وتحدَّى بحسامِ

هجرةٌ كانت إلى اللهِ ، وفى

خطْوِهَا : مولِدُ أحْداثٍ جِسامِ

أخطأ الشيطانُ مَسْراها ، فيا

ضَلَّةَ الشيطانِ فى تلك المَوامى !

آبَ بالخَيْبَةِ من غايتهِ

وهو فوقَ الأرضِ ملعونُ المقامِ

صفحاتٌ من صراعٍ خالدٍ

ضُمِّنَتْ كلَّ فخارٍ ووسامِ

لم تُتَحْ يوماً لجبَّارٍ طَغَى

أو لباغٍ فاتكِ السَّيْفِ عُرامِ

بل لدَاعٍ أعزلٍ فى قومِهِ

مستباحِ الدَّمِ مهدورِ الذِّمامِ

زلزلَ العالم من أقطارِهِ

بِقُوَى الرُّوحِ على القَوْمِ الطَّغامِ

وبَنَى أوَّلَ دنيا حُرَّةٍ

بَرِئَتْ من كلِّ ظلمٍ وآثامِ

تَسَعُ الـنـاسَ عـلـى ألـوانـهـم

لم تـفـــرِّقْ بين آرىً وســـامى

* * *

حـــــاطِمَ الأصنـامِ : هَلْ منكَ يَدٌ

تَذَرُ الظلمَ صـديعـاً من حُطامِ ؟

لم تُطِقْهـــا حـــجَراً أو خَشَبـــاً

ويُطاق اليـــومَ أصنـامُ الأنامِ !!

وعـــجـــيبٌ صُنْعُهم فى زمنٍ

أبْصَرَ الأعـمى به والمتَعـامى !

وتُرجى عـــودةَ المجـــدِ الذى

أعـجـزَ البَانى ، وأعيَا المتسامى

من بيـــوتٍ هاشـــمـــيَّاتِ البنَى

وعُروشٍ أمـــــويَّاتِ الدعـــــامِ

ونتـــــاجٍ من نُهىً جـــــبَّارةٍ

وتراثٍ من حَضَاراتٍ ضـــخـــامِ

قلْ لها ، يا عامُ : لا هُنْتِ ، ولا

كنتِ إلا مـــهـــدَ أحـــرارٍ كـــرامِ

ذاكَ مـــــجـــــدٌ لم ينَلْهُ أهلُه

بالتـــمنِّى ، والتـــغنِّى ، والكلامِ

بل بـآلامٍ ، وصـــــــبْرٍ وضنـىً
ودمـــــوعٍ ، ودمٍ حُرٍّ ســـــجـــامِ
قُلْ لـهـــــــا : إنَّ الرَّحـى دائـرةٌ
واللَّيـــالى بَيْنَ كـــرٍّ وصـــدامِ
فـــاســـتـــعـــدى لغـــدٍ إنَّ غـــداً
نُهْزَةُ الســـبَّاقِ فى هذا الزحـــامِ !
واجـــمـــعى أمـــركِ لليَوْمِ الذى
يَحْمِلِ البُشْرَى لعُشَّاق الســـلامِ !

٦ - البحيرة

عن الفونس لامارتين

ليتَ شـعـرى أهكذا نحنُ نمضى
فى عُبـابٍ إلى شـواطئَ غُمْضِ
ونخـوضُ الزمـانَ فى جُنْحِ ليلٍ
أبدىً ، يُضنى النفـوسَ ويُنضى
وضفافُ الحياةِ ترمُقُها العيـ
ـنُ فبعضٌ يمرُّ فى إثرِ بعضِ
دون أنْ نملكَ الرجـوعَ إلى مـا
فاتَ منها ، ولا الرسـوُّ بأرضِ ! ؟

* * *

حَدِّثى القلبَ ، يا بحيرةُ ، مالى
لا أرى « أولفيرَ » فوقَ ضفافِكْ
أوْشكَ العـامُ أن يمـرَّ ، وهذا
مـوعـدٌ للقـاءِ فى مُصطافِكْ
صخرةَ العهدِ ! ويكِ ، هأنذا عُدْ
تُ ، فماذا لديكِ عن أضيافِك ؟

عدتُ وحدى أرعَى الضفافَ بعينٍ
سفكتْ دمعَها الليالى السوافكْ

* * *

كنتِ بالأمسِ تهدرينَ كما أنـ
ـتِ هديراً يهزُّ قلبُ السكونِ
وضفافٍ أمواجُهَا يتداعـ
ـين على هذهِ الصخورِ الجونِ
والنسيمُ العليلُ يدفعُ وَهْنًا
زَيَدَ الموجِ للرُّبى والحزونِ
ملقياً رغوَها على قَدَمَيْها
ليِّنَ المسِّ مستحبِّ الأنينِ

* * *

أتُرى تذكرينَ ليلةَ كنا
منكِ فوقَ الأمواجِ ، بينَ الضفافِ
وسرى زورقٌ بنا يتهادى
تحتَ جنحِ الدُّجى وسترِ العفافِ ! ؟
فى سكونٍ ، فليسَ نسمعُ فوق المـ
ـوجِ إلا أغانىَ المجدافِ

تتـــلاقى على الرُّبى والحـــوافى

بأناشـــيـــدِ مـــوجِكِ العـــزَّافِ ؟ ؟

* * *

وعلى حـــينِ غـــرةٍ رنَّ صـــوتٌ

لـم يُعَوِّدْ ســـــمـــــاعَه إنسىٌ

هبطَ الشـاطىءَ الطروبَ فما يُسمـ

ـــعُ فـــيـــهِ للهـــاتفـــاتِ دوىٌ

وإذا الليلُ ســـــاهمٌ سكَنَ النو

ءُ إليـــــــهِ وأنـصـتَ اللـجـىٌ

يتلقى عن نبـأةِ الصـوتِ نجـوى

كـلـمـــــــاتٍ ألـقـى بـهـنَّ نجـىٌ

* * *

يا زمـاناً يمـرُّ كـالطيـرِ مـهـلاً

طائرٌ أنتَ ؟ ويكَ ، قِفْ طيـرانَكْ !

أهناءَ السـاعـاتِ تجـرى وتعـدو

نا عطاشـاً ، فـقف بنا جـريانك !

ويكَ دَعنا نمرحْ بأجـــــملِ أيا

مٍ ونَلقى ، من بَعْدِ خـوفٍ ، أمـانكْ

وإذا نحن لَذَّةَ العـــــيش ذقنا

هـا ومـــــرَّت بنـا فَدُرْ دَوَرَانكْ !

* * *

بَيْدَ أنَّ الشـــقـــاءَ قـــد غَمَرَ الأر

ضَ وفـاضَ الوجـودُ بالتـاعـسـينا

كلـهـمْ ضـــــارعٌ إلـيك يـرجِّيك

فـأسـرعْ ! أسـرعْ ! إلى الضَّارعـينا

وافـتـرس مُشْقِيـاتِ أيـامـهمْ وامـــ

ـضِ رحىً تطحنُ الشـقـاءَ طحـونا

رحـمـةً ، فـاذكرِ النفـوسَ الحـزانى

وانسَ ، يا دهرُ ، أنفسَ الناعمينا !

* * *

عـبـثـاً أنشـدُ البـقـاءَ لعـهـدٍ

يَفْلِتُ اليـــــومَ من يدى ويفـــــرُّ

وســـويعـــاتِ غـبطةٍ مـــا أراها

ووشـــيكاً مـــا تنقـــضى وتمرُّ

وأنادى يا لـيلـةَ الوصـلِ قـــــرِّى

إن بعـــد السُّرى يطيبُ المقـــرُّ

أســـفـــاً للصبًـبـــا وغـــرٍّ ليـــالٍ

ليس يُبـقـى على صـبـاهنَّ فـجـرُ

* * *

فـلـنـحـبَّ الـغـــــداةَ ولـنـحـىَ حُبًّا

ولنكنْ فى الحـيـاةِ بعـضـاً لبـعضِ

ولنســـارعْ فنقـتـفى إِثرَ ســاعـا

تٍ فـقـد تؤذنُ النوى بالتـقـضِّى

إِننا فى الحـيـاةِ فى عُرْضِ بحـرٍ

ليس نُلقى المرســاةَ فـيـهِ بأرضِ

مـــا به مـــرفـــأ يَبـــينُ ولكنْ

نحن نمضى فى لجِّه ، وهو يمضى !

* * *

أكـــذا أنتَ ، أيهـــا الزَمَنُ الحـــا

قـدُ ، تغـتـالُ نشـوةَ اللحظاتِ ؟

حـيثُ يُزجِى لنا الســعـادةَ أمـوا

جـأ من الحبِّ زاخـرُ اللجـاتِ ؟

أكـذا أنت ، ذاهبٌ بليـالى الصـــ

ـــفـوِ عنا ســريعـةَ الخطواتِ ؟

أكـذا تنقـضى مـلاوةُ نعـمـا

ها كمـا ينقـضى شـقاءُ الحيـاة ؟

* * *

كيفَ حـدِّثْ : أغـالهـا منك صـرفٌ

فى أبيـدِ الزَّمـانِ حـيثُ طواها ؟

ويكَ ، قل لى ، أليسَ نملكُ يومـاً

أن نراها ؟ أمـا تبـينُ خُطاها ؟

أتراها ولَّتْ جـمـيـعـاً ، ولما

تبقَ حـتـى آثارُهـا ، أتراهـا ؟

أوَذاكَ الدهرُ الذى افتنَّ فى صـو

غِ صباها هو الذى قد مـحاها ؟

* * *

أيُّهـذا الزمـانُ ، والعـدمُ العـا

تى ، غـريقـين فى سكونٍ وصـمتِ

أىْ عـمـيقَ اللجـاتِ : مـاذا بأيا

مِ صـبـانا ؟ مـاذا بهنَّ صنعتِ ؟

حـدثينى ، أمـا تعـيـدينَ مـا من

سكراتِ الغـرامِ منا اخـتطفتِ ؟

أوَ مـــا تُطلقـــينهـــا من دياجـــيـ

ـكِ ؟ أمـا تبـعـثـينهـا بعدَ مـوتِ ؟

* * *

أنتِ ، يا هذهِ البـحـيـرةُ ، مـاذا

يكتمُ الموجُ فـــــيكِ والشطآنُ

أيهـــــا الغـــــابةُ الظليلةُ رُدِّى

أنت ، يا من أبقى عليـهـا الزمـانُ

وهو يسطيعُ أن يُجِدَّكِ حـسناً ! !

إحـفظى لا أصـابَكِ النسـيـانُ ! !

قلَّ حـــفطاً أن تذكـــرى ليلةً مـــرَّ

تْ وأنتِ الطبـــيـــعـــةُ الحـــسَّانُ

* * *

ليَكُنْ منكِ ، يا بحـيـرةُ ، مـا لجَّ

بكِ الصـمتُ أو جنونُ اصطخـابكْ

فى مـــغـــانيكِ حـــاليـــاتٍ تراءى

ضـاحكاتٍ على سـفـوحِ هِضـابكْ

فى مـروج الصَّنوبرِ الحـوِّ تهـفـو

سـابغـاتُ الأليـافِ حولَ شـعـابكْ

فى نتوءِ الصخورِ ، مشرفةِ الأعنا

قِ ، بيضاً ، تُطلُّ فوقَ عُبابكْ

* * *

وليكنْ فى العُباب يهدرُ آمـ

ـواجاً على شاطئيك مثلَ الرعودِ

فى انتحابِ الرياح تُعول فى الوديـ

ـانِ إعوالَ قلبىَ المفؤودِ

فى صدى الجدولِ الموقّع أنًا

تِ حشاهُ بالجندلِ الجلمودِ

فى شذاكِ السرىِّ ينشقُ منه الـ

ـقلبُ ريًا فردوسهِ المفقودِ ! ؟

* * *

وليكن فى النسيم ما هبَّ سار

يهِ يجوبُ الشطآن نحوكِ جَوْبا

فى جبينِ النجمِ اللجينىِّ يُلقى

فِضةَ الضوءِ فى مياهِكِ ذَوْبا

وليكنْ فى شتيتِ ما تسمعُ الأذ

نُ ، وفيما نراهُ عيناً وقلباً

ليكنْ هـاتفٌ منَ الصـــوتِ يتلو

« قـد أحـبًا وأخلصـا مـا أحـبـا »

٧ - قبر شاعر

رثاء فوزى المعلوف

رفَّت عليـهِ مـورقـاتُ الغـصـونْ
وحـــفَّهُ الـعـــشْبُ بـنـوَّارِهِ
ذلكَ قـــبـــرٌ لـم يُشـــدْهُ المنونْ
بلْ شـــادهُ الشـــعـــرُ بآثارِهِ
أقـــــامَهُ مـن لـبِنـاتِ الـفـنـونْ
وزانهُ المجـــدُ بأحـــجـــارِهِ
ألقى به الشـاعـرُ عِبءَ الشـجـونْ
وأودعَ الـقـلـبَ بـأســـــرارِهِ

* * *

وجـــاورتْهُ نخلةٌ باســـقَهْ
تجـــثُم فى الوادى إلـى جنبـــهِ
كـــأنهـــا الثـــاكلةُ الوامـــقَهْ
تقـضى مـدى العُمْرِ إلى قـربهِ
تئنُّ فـيـهـا النسـمـةُ الخـافـقَهْ
كـــأنما تخـــفقُ عن قلبـــهِ

وتُرسلُ الأغنيـــــةَ الشـــــائقَهْ

قِمْريـةٌ ظـلَّتْ عـلـى حـــــــــبِّهِ

* * *

ويُقــبلُ الفــجــرُ الرقــيقُ الإهـابْ

يحنو على القــبــــرِ بأضــوائهِ

كـــــأنما ينشدُ تحتَ التـــــراب

لـــؤلـــؤةً تُزرى بـــلألائـــهِ

إستلَّ منهـا الموتُ ذاكَ الشـهـابْ

غـيـرَ شُعـاعٍ ، فى الدُّجى ، تائه

يَظَلُّ يهـفـو فـوقَ تلكَ الشـعـابْ

يطوفُ باليَنبـــوعِ من مـــائهِ

* * *

ويـذهـبُ الـنُّورُ ويـأتـى الـظـلامْ

وتبـــزغُ الأنجمُ فـى نسـقـــهِ

حيرى ، تحوم الليلَ كالمستهامْ

أسـهـرهُ الثـائرُ منْ شـوقـهِ

تبـــحثُ عن نجمٍ بتلكَ الرجـــامْ

هوتْ به الأقـــدارُ عن أفـــقـــهِ

أخٌ لهـــا فى الأرضِ ودٌ المقـــامْ
وآثر الغـــربَ على شـــرقـــهِ

* * *

ويُطلقُ الطيـرُ نشـيـدَ الصـبـاحْ
بنغـــمـــةٍ تصـــدُرُ عن حُزنهِ
يَمُدُّ فـــوقَ القـــبـــرِ منهُ الجناحْ
ويرسلُ المـنقـــــــارَ فـى ركنـهِ
أفـضى إلى الراقـدِ فـيـه وَياحْ
بـــأنَّهُ المـلـــهـــمُ مـــن فـــنِّهِ
فَمِنْ قـوافـيـهِ اسـتـمـدَّ النُّواحْ
ومن أغـــانيـــهِ صـــدى لحنهِ

* * *

وحـــين تمضـى نَسَمَاتُ الخـريفْ
وتملأُ الأرضَ رياحُ الشـــتـــاءْ
ويقـــبلُ الليلُ الدَّجِيُّ المخـــيفْ
فـلا ترى نجـمـاً ينيـرُ السـمـاء
هناكَ لا غـــصنٌ عليـــهِ ورَيفْ
يهـفـو ، ولا طيـرٌ يثـيـرُ الغناء

يظلِّلُ الأرضَ الظلامُ الكثـــيفْ

كـــأنما تُمـــسى بوادى الفناءْ

* * *

يا شـاعـراً مـا جـمـعـتنى بهِ

كـواكبُ الليلِ وشـمسُ النهـارْ

لكنَّه الشـــــرقُ وفـى حـــــبِّهِ

ينأى بنا الشـــوقُ وتدنو الديارْ

سكبتَ من شـــجـوكَ فى قلبـه

ومن مـــآقـيكَ الدمـوع الغِزار

فـــــــودَّ أنْ لـو نِمْتَ فـى تربـهِ

ليـشـفىَ النفسَ بهـذا الجـوارْ

* * *

قـد راعنى مـوتُكَ ، يا شـاعـرى

فى ميـعـةِ العمرِ وفـجـرِ الشبَابْ

وهزَّنى مـا فـاضَ من خـاطرِ

كـانَ ينابيعَ البـيـانِ العِذَابْ

ونفـــثـــاتُ القَلَمِ الســـاحـــرِ

فى جـوبِكَ الأفقَ وطىَّ السـحـابْ

ووقـــفـــةٌ بالكوكبِ الحـــائرِ

رأى بســـــاطَ الريـحِ يدنـو فَهَابْ

* * *

لـكنَّهُ شـــــعـــــركَ لمَّا يَزَلْ

يُردِّدُ الـكونُ أناشـــــيـــــدَهُ

شِعـرٌ كَصـــوْبِ الغـيثِ أنَّى نزلْ

أرقصَ فى الرَوْضِ أمـــــاليـــدَهُ

وعلَّم الطيـــرَ الهـــوى والغَزَل

فـــأسـمعَ الزهرَ أغـــاريدَهُ

وَغَنَّتِ الـــريـــحُ بـــه فـــى الجَبَلْ

فـــحـــركتْ منهُ جـــلامـــيـــدَهُ

* * *

يا قـــبـــرُ لم تُبْصِرْكَ عـــينى ولا

رأتك إلا فـى ثنايا الخـــيـــالْ

مـــلأتَ بالرَّوْعِ فـــؤاداً خـــلا

إلا من الحبِّ ونورِ الجـــمـــالْ

أوحـيتَ لى سـرَّ الردى فـانجلى

عن عـينىَ الشكُّ وليلُ الضـــلالْ

ـ ذاً ستطوى القلبَ أيدى البلى
ويقنصُ النجمَ عقابُ الليالْ

* * *

هكذا تمضى ليالى الحياهْ
والقبرُ مازالَ على حالهِ
دنيا من الوَهْمِ ودهرٌ تراه
يغَرِّرُ القلبَ بآمالهِ
يسخرُ من مبتسماتِ الشفاهْ
وجامدِ الدمعِ وسَيَّالهِ
دهرٌ على العالمِ دارتْ رحاهُ
فلم تَدَعْ رسماً لأطلاله

٨ – شاعر مصر

فى رثاء حافظ إبراهيم

دَعَوْتَ خَيالى فاستجابتْ خواطرى
وحـــــدَّثنى قلبى بأنكَ زائرى
عَشيَّةَ أغرى بِى الدُّجى كلُّ صائعٍ
وكلُّ صدىً فى هَدْأةِ الليلِ عابرِ
أقولُ مَنِ السارى ؟ وأنتَ مُقَارِبى
وأهتفُ بالنَّجْوَى ، وأنتَ مُجاوِرى
أحِسُّكَ مِلءَ الكونِ رُوحاً وخاطراً
كأنَّك مبعوثُ الليالِى الغوابرِ
ومثَّلَ لى سمْعى خُطاكَ ، فخِلْتُها
صَدَى نبأٍ من عالمِ الغَيْبِ صادرِ
سِوى خطراتٍ من بَنانٍ رفيقةٍ
طَرَقْتَ بها بابى فَهَبَّتْ سرائرى
عرفتُكَ ، لم أسمعْ لصوتِكَ نَبْأةً
وشِمْتُكَ ، لم يَلْمَحْ مُحَيَّاكَ ناظرى
أرى طَيْفَ معشوقٍ ، أرى روحَ عاشقٍ
أرى حُلْمَ أجيالٍ ، أرى وجهَ شاعرِ

* * *

إِلَيْكَ ضِفافَ النيل ، يا روحَ حافظٍ ،
فَجدِّدْ بها عهدَ الأنيسِ المُسامِرِ
وساقِطْ جَنَاها من قوافيكَ سَلْسَلاً
رَحِيماً كأرْهامِ النَّدى المُتناثِرِ
سَرَتْ فيه أرواحُ النَّدامَى ، وصَفَّقَتْ
كؤوسٌ على ذِكْرِ الغريبِ المسافرِ
نَجىَّ الليالى القاهريَّاتِ : طُفْ بها
خَيَالَة ذكرى ، أو عُلالَة ذاكرِ
وجُزْ عالَمَ الأشباحِ ، فالليلُ شاخصٌ
إليكَ ، وأضواءُ النجومِ الزَّواهرِ
وطالِعْ سماءً فى مَعَارجِ قُدْسِها
مَرحْتَ بِوُجْدانٍ من الشِّعرِ طاهرِ
وسَلْسَلْتَ من أندائِها وشُعاعِها
جَنَى كَرْمَة لم تَحْوِها كفُّ عاصرِ
تَدَفَّقَ بالخمرِ الإلهىِّ كأسُها
فغرَّدَ بالإلْهَامِ كلُّ مُعاقِرِ
عَلَى النِّيل رُوحانيةٌ من صَفائِها
وَلألاءُ فجرٍ عن سَنَا الخُلْدِ سَافرِ

فـــصـــافِحْ بعـــينيكَ الدِّيارَ فطالما

مَدَدْتَ على آفـــاقِهـــا عـــينَ طائرِ

وخُذ فى ضِفافِ النهر مَسْراكَ ، واتَّبِعْ

خُطَى الوحْيِ فى تلكَ الحقولِ النَّواضرِ

حـــدائقُ فـــرعَونٍ بدفَّاقِ نَهـــرِها

وجَنَّتُهُ ذاتُ الجَنَى والأزَاهـــــــرِ

وفى شُعَبِ الوادى ، وفـوقَ رمـــالهِ

عِصِىٌّ نبىٌّ ، أو تَهَاويلُ ســـاحـــرِ

صـوامعُ رُهْبانٍ ، مَحـاريبُ سُجَّدٍ ،

هيـاكِلُ أربابٍ ، عـروشُ قـيـاصـرِ

سَرَى الشعرُ فى باحـاتها روحَ ناسكٍ

وترديدَ أنفـاسٍ ، ونَجْوَى ضـمـائرِ

وهمْسَ شِفـــاهٍ تَشْمَلُ الروحُ عندَهُ

وتَسْبَحُ فى تِيـهٍ من السِّحْرِ غـامـرِ

هو الشعرُ ، إيقاعُ الحياةِ وشَدْوُها

وحُلْمُ صبِـــاها فـى الرَّبيعِ المُبـــاكِرِ

وصـوتٌ بأسـرارِ الطبـيـعـةِ ناطقٌ

ولكنَّه روحٌ ، وإبداعُ خـــــاطرِ

ووثْبَةُ ذِهنٍ ، يَقْنِصُ البــرقَ طائراً

ويغــزو بروجَ النَّجْمِ غـيـرَ مُحـاذِرِ

فـيـا دُرَّةً لم يحـوِها تاجُ قـيـصـرٍ

ولا انتظمتْ إلا مــفــارقَ شــاعِرِ

تألَّه فـيكِ القلبُ واسـتكبـرَ الحِجَى

على دَعَةٍ ، من تَحْتــهــا روحُ ثائرِ

إذا اعترضَ الجبَّارُ ضَوءَكِ شامـخاً

تَلقَّيْتِهِ كــبْراً ببَسْمَةِ ســاخــرِ

لَمَستِ حــديدَ القَيْدِ فــانحلَّ نظمُه

وأطلقتِ أســرَى من براثِنِ آسِرِ

ومـا زِدْتِ فـى الأحداثِ إلا صـلابةً

إذا النَّارُ نالتْ من كِرامِ الجــوَاهرِ

يزينُ بكِ الرَّاعى ســقـيـفـةَ كُوخِهِ

فـتـخـشَعُ حَيْرَى نيِّراتُ المقـاصـرِ

أضاعوكِ فى أرضِ الكنوزِ ، وما دَرَوْا

بـأنكِ كَنْزٌ ضَمَّ أغْلَى الذَّخــــائرِ

وهُنتِ على مــهــدِ الفنونِ ، وطالما

ســمــوتِ بسلطانٍ من الفنِّ قـاهِرِ

إذا افـتـقـدَ التـاريخُ آثارَ أمّةٍ
أشَرْتِ بما خلّدتِهِ من مـــآثرِ

* * *

سَلاماً ، سَلاماً ، شاعرَ النيلِ : لم يزَلْ
خـيـالُكَ يَغْشَى كلَّ نادٍ وسـامرِ
وشـعـرُكَ فى الأفـواهِ إنشـادُ أمـةٍ
تغنّتْ بماضٍ واستـعـزّتْ بحـاضرِ
وذِكْراكَ نَجْوى اليائسينَ ، إذا هَفَتْ
قلوبٌ ، وحـارتْ أدْمُعٌ فى المَحـاجرِ
يَدُلُّ عـلـيكَ الـقـلـبَ أنّاتُ بـائسٍ
ونظرةُ مـخْزونٍ ، وإطراقُ سـادرِ
ومـا أنتَ إلاّ رائدٌ من جـمـاعـةٍ
تَوالَوا تِبـاعـاً بالنُّفـوسِ الحـرائرِ
صَحَتْ باديـاتُ الشَّرْقِ تحتَ غُبـارِهِمْ
عـلـى شَدْوِ أقـــلامٍ ولمـعِ بـواترِ
وفى القِمَمِ الشُّماءِ ، مِنْ صَرَخاتِهم ،
صَدَى الرعدِ فى عَصْفِ الرياحِ الثَّوائرِ
يضـيـئـونَ فى أفْقِ الحـيـاةِ كـأنّهمْ
على شَطِّهـا النّائى منارةُ حـائرِ

فـيـا شـاعـراً غَنَّى فَرَقَّ لشَجْوِهِ
جَفاءُ اللَّيالى ، واعتِسافُ المقادِرِ
لَكَ الدهْرُ ، لا ، بل عالَمُ الحِسِّ والنُّهَى
خـمـيلةُ شـادٍ آخـذٍ بالمشَاعـرِ
فَنَمْ فى ظلالِ الشِّرْقِ ، واهنَأ بمضْجَعٍ
نَدِيٍّ بأنفـاسِ النَّبِيِّينَ عـاطِرِ
ووَسِّدْ ثـراهُ الـطُّهْرَ جَنْبَكَ وانـتَظِمْ
لِداتَكَ فـيـه ، فَهُوَ مَهْدُ العَبَاقِرِ

٩ – شوقى

فى رثاء الشاعر احمد شوقى

هَجَرَ الأرضَ حـينَ مَلَّ مـقـامـهْ
وطوى العـمـرَ حـيـرةً وسـآمـهْ
هَيْكلٌ من حـقـيـقـةٍ وخـيـالٍ
مَلَكَ الحبُّ و الجـمـالُ زمـامَه
ألْهَمَ الشـعـرُ أصـغـريهِ فـرقًا
فى فَمِ الدهرِ كـوثراً و مُدامـه
سلسـبـيلٌ من حكمـةٍ و بيـانٍ
فَجَّرَ اللهُ منهـمـا إلهـامَه
تأخـذُ القلبَ هَزةٌ من تسـا
قـيـهِ ، ويَنْسى بسـحـره آلامـه
غَمَرَ الأرضَ رحـمـةً وسَلامـاً
وجـلا الكونَ فـتنةً ووسـامـه
مـالئـاً مِسْمعَ الوجـودِ نشـيـداً
عَلَّمَ الطيـرَ لحنَهُ وانسـجـامـهْ
مـالَهُ و الزمـانُ مـصغٍ إليـه
رَدَّ أوتـارَه وحـطَّمَ جَامَهْ ؟

رُوِّعَ الطيـرُ يومَ غـابَ عن الأيْـــ

ـكِ وسـالتْ جـراحُهـا الملتـامـة

مـا الذى شـاقَهُ إلى عـالمِ الرُّوْ

حِ ؟ أجَلْ تلكَ روحُهُ المستـهـامـة !

راعـهـا النورُ وهـىَ فى ظلمـة الكـ

ـكونِ فـخـفَّتْ إليـه تطوى ظلامـهْ

هـى بـنتُ السـمـاءِ وهـو من

الأرض سليلٌ نما التـرابُ عظامـه

فـاهتـفـوا باسـمـه فـمـا مـاتَ ، لكنْ

آثرَ اليـومَ فى السـمـاءِ مُقـامـهْ !

* * *

حـدِّثتنى الرياضُ عنهُ صَبـاحـاً

مـا لصـداحِهـا جـفـا أنغـامـهْ ؟

وشـكـا لـى الـنسـيـمُ أولَ يـومٍ

لم يُحـمِّلْهُ للحـبـيبِ سـلامـهْ

وتسـمـعتْ للغـديرِ يُنادى

مـا الذى عـاقَ طيـرَه وحـيـامـهْ ؟

أتُراهُ تـرشَّفَ الفـجـرَ نـوراً

أم شـفى من نَدَى الصـبـاحِ أوامـهْ

ورأيتُ الجـمـالَ فى شعَبِ الوادى
ينادى بطاحَهُ و أكـــامـــهْ
صارخاً يستجيرُ شاعرَهُ الشـ
ـــادى ، ويدعـــو لفنِّه رسّامـــهْ
فَتَلَفَّتُّ باكـــيـــاً وبعـــينى
شَبَحٌ تخطرُ المنونُ أمـــامـــهْ
هتفَ القلبُ بالمنادينَ حـــولى :
لَقِىَ الصـادحُ الطروبُ حِمـامـهْ
فـاذكـروا شـدْوَهُ بكل صـبـاحٍ
وارقـــبـــوا من خَيَاله إلمامـــه
واملأوا الأرضَ والسـمـاءَ هُتافاً
علَّهُ لم يَرَ الصـــبـــاحَ فنامـــهْ

* * *

لم يرُعنِى من جـــانبِ النيلِ إلا
كـــرمـــةٌ فـــوقَهَا ترفُّ غَمَامـــة
تحت سـاجى ظلالهـا زهرةٌ تبـ
ـــكى ، وفى فَرْعِهَا تنوحُ حـمَامـة
عـرفتـهـا عينى ، ومـا أنكرتهـا ،
من ظلامٍ و وحشـةٍ و جَهَامـة

قلتُ يا كَرْمَةَ ابنِ هانى سَلاماً

ليسَ للمرءِ فى الحياةِ سلامة

نحنُ ، لو تعلمينَ ، أشباحُ ليلٍ

عابرٍ يَنسخُ الضياءُ ظلامه

والذى تلمحينَ من لَهبِ الشـ

ـمسِ غداً يُطفىءُ الزمانَ ضرامه

والذى تبصرينَهُ من نجومٍ

فَلَكٌ يرصدُ القضاءُ نظامه

عَبَثاً نُنشدُ الحياةَ خلوداً ،

ونرجِّى الصِّبا ، ونبغى دوامهْ

إنما الأرضُ قبرُنا الواسعُ الرحـ

ـبُ وفى جوفِهِ تطيبُ الإقامة

أودعَ القلبُ فيهِ آلامَه الكـ

ـبدى ، وألقى ببابه أحلامه

نَسِيَ الناعمونَ فيه صباهُمْ

وسلا المغرمُ الشوقُ غرامهْ

فامسحى الدمعَ وابسمى للمنايا

إنَّ دنياكِ دمعةٌ وابتسامة ! !

* * *

أيهـــا المســـرحُ الحـــزينُ عـــزاءً

قـد فـقـدتَ الـغـداةَ أقـوى دِعـامـه

ذَهَبَ الشـاعـرُ الذى كنتَ تسـتـو

حـى وتســتلهمُ الخلودَ كـــلامـــهْ

ولكَ اليـــومَ همـــةٌ فى شـــبـــابٍ

مـلأوا الـعـصـرَ قـوةً و هـمُامـهْ

نزلوا سـاحَهُ يشـيـدونَ للمـجـــ

ـــدِ وشـقُّوا إلى الحـيـاةِ زحـامـه

فـاذكـروا نهـضـةَ البـيـانِ بأرضٍ

أطلعتْ فى ســمـائهـا أعـلامـــه

إنهـــا أمـــةٌ تـغـــارُ على الفنِّ

وترعى عـــهـــودَه و ذمـــامـــهْ

لم تَزَلْ مصرُ كعبةَ الشعرِ فى الشر

قِ ، وفى كـفِّهـا لواءُ الزعـامـة

إنَّ يومـاً يفـوتُهـا السَبْقُ فـيـهِ

لهـوَ يومُ المعـادِ يومُ القـيـامـة ! !

١٠ - سورية وعيد الجلاء

تحية استقلال سورية

ورثاء صبرى ابو علم

هنَّأتُ باسمكِ تحتَ الشمسِ أحراراً
يَنْدَى هواكِ على هاماتهمْ غارا
دمَشْقُ ! يا بلدَ الأحرارِ ، أىُّ فتىً
لم يَمْتشقْ فيكِ سيفاً أو يَخُضْ نارا ؟ !
ذَوْدا عن الوطنِ المعبودِ ، من دمِهِ
للمجدِ يبنيهِ أطاماً وأسوارا
زَكَتْ « أمَيَّةُ » فى أعراقهِ وجرتْ
دماً يُروِّى الثرى أو يغسلُ العارا
عيدُ الجلاءِ أسمِّيهِ وأعرفهُ
يومٌ تَباركَ أنداءً وأسحارا
جلا عن الشرقِ ليلُ البغى حينَ جلا
عروبةٌ فيكِ تَلْقَى الأهل والدارا
لولا مصابٌ دهى الوادى فشبَّ به
ناراً ، وهاجَ النسيمَ العذبَ إعصارا

ورَوَّعَ الأمـــةَ الغلبـــاءَ فى رَجُلٍ

شـــدَّتْهُ قـوســـاً ، وسلَّتْ منه بتَّارا

من النوابغِ أعـمـــاراً إذا قـصـرتْ

مـدَّ النبـوغُ لهم فى الخلدِ أعمـارا

أحـرارُ مملكةٍ فى الرأى مـا أثمـوا

سَمَّاهمـــو الغـــاصبُ الظَّلام ثُوَّارا

ثاروا على القيدِ حتى انحلَّ ، واقتحموا

على الطواغيت حِصْنَ الظلمِ فـانهـارا

... لولاهُ كـانَ إليكِ البـرقُ راحلتى

أطوى به الجـــوَّ آفـــاقـــاً وأقطاراً

وجئتُ «فيحاءُ» أزجى الشعرَ مُفتَقِداً

تحتَ الصـفـائحِ مـقـداماً ومـغـواراً

والمفتدونَ ، شُراةُ الخلد ، قُلْ لهمو

مـا ينظمُ المدحُ ألحـاناً وأشـعـاراً !

١١ – بطل الريف : عبد الكريم الخطابى

لا السـيفُ قَرَّ ولا المحـارِبُ عـاداَ
وسسَيْحَ البشيرِ ! بأىِّ سلْمٍ نادَى ؟
الأرضُ من أجسـادِ من قُتِلوا بهـا
تَجْنِى العـذابَ وتُنْبِتُ الأحـقـادا
فاضَ السحابُ لها دَماً – مُذْ شَيَّعتْ
شَمسَ النهـارِ – فـخـالطتْهُ سَوادا
رأتِ الحِدادَ به على أحـيـائهـا
أتُرَاهمو صَبَغوا السمـاءَ حِدادا !
وَدَّ الطُّغـاة بكلِّ مَطْلَعِ كـوكبٍ
لو أطفـأوه وأسـقطوهُ رَمَادا
وتخـوَّفُوا وَمْضَ الشِّهـابِ إذا هَوَى
وَبُروقَ كلِّ غـمـامـةٍ تتـهـادَى
ولو انَّهم وَصَلُوا السـمـاءَ بعِلْمِهم
ضَرَبوا على آفـاقـهـا الأسْدَادَا
لـولا لـوامِعُ مـن نُهـىً وَبـصَائـرٍ
تَغْزُو كُهـوفـاً أو تَؤُمُّ وهـادا

لـم يَرْقَ عَقْلٌ أو تَرِقَّ سـريرةٌ

وقـضى الوجـودُ ضـلالـةً وفسـادا

راعَ الطُّغـاةَ شُعَاعُهُ فـتـسـاءَلوا

مَنْ نَصَّ هـذا الـكَوْكَبَ الـوَقَّادَا ؟

إنْ تَجْهَلـوا فَسـلُوا بـه آبـاءَكُم

أيَّامَ شَعَّ عـدالةً ورِغـادا

هـل أبصـروا حُرِّيَّةً إلا بـه

أو شـيَّدوا لحـضـارةٍ أوتادَا ؟

حَمَلَتْ سَنَاهُ لـهـم يَدٌ عـربيَّةٌ

تبنى الشـعـوبَ وتنسجُ الآبادا

هـى أمَّةٌ بالأمسِ شـادتْ دَولـةً

لا تعـرفُ العِبْدانَ والأسـيـادَا

جُرْتُمْ عليـهـا ظالمينَ بعَدِّكم

وعَدِيدِكم تتـخـايلونَ عَتَادا

ومَنَعْتُمـوها من مـواهبِ أرْضِهـا

مـاءً بهِ تَجـدُ الحـيـاةَ وَزَادا

فى المغربِ الأقصى فتىً من نورِها

قَدَحَتْ به كفُّ السـمـاءِ زِنادا

سَلَّتْهُ سـيـفـاً كى يحـرِّرَ قَوْمَهُ
وُيَزِيلَ عن أوطانهِ اسـتـعـبـادَا
مـا بـالُكم ضِقْتُم بـه وحَشَدْتُمُو
من دونِهِ الأسـيـافَ والأجنادَا ؟
اشْعَلْتُمـوهـا ثـورةً دَمَويَّة
لا تعـرفـونَ لنارِها إِخـمـادَا
حـتى إِذا أوْهَى القـتـالُ جِلادَكم
ومـضـى أشَدَّ بسـالةً وجِلادَا
جـئْتُمْ إِلـيـهِ تُهـادِنونَ سُيـوفَهُ
وسـيـوفُهُ لم تسكُنِ الأغـمـادَا
وكتبتمو عهداً - بحَدِّ سيوفكم -
مَزَّقْتُمُوهُ ولـم يـجِفَّ مِداداً

* * *

الأهلُ أهْلُكَ ، يا أميرُ ، كما تَرَى
والـدَّارُ دارُكَ قُبَّةً و عِمَادَا
أنَّى نَزَلتَ بمصـرَ أو جـاراتِهـا
جـئْتَ الـعُروبةَ أمَّةً وبِلادَا
مَدَّت يدَيْها و احْتَوَتْكَ بصدرها
أمٌّ يَضُمُّ حـنانُهـا الأولادَا

ولو استطاعتْ رَدَّ ما استَوْدَعْتَها

رَدَّتْ عليكَ المَهْدَ و الميـــــلادَا

وَأتَتْكَ بالذِّكَرِ الخـــــوالدِ طاقـــةً

كـــأجَلِّ مـــا جـــمعَ المحبُّ وهادَى

مـاذا لَقِيتَ من الزَّمـانِ بصـخـرةٍ

قـاسَيْتَ فـيـهـا غُرْبَةً و وحِادًا ؟

وَبَلَوْتَ من صلَفِ الطُّغـاةِ وعَسْفِهم

فـيـهـا الليـالـى والسنينَ شِدَادًا ؟

جعلوا البحارَ ، ومثلُهُنَّ جبالُها ،

سَدًّا عليك وأوســعــوك بعــادَا

دَعْهُم ! فـأنتَ سَخِرْت منَ أحلامـهمْ

وأطَرتَهُنَّ مـــع الـــريـــاحِ بـــدادًا

عشرينَ عاماً ، قد حَرَمْتَ عيونَهم

غُمْضَ الجفونِ ، فـما عَرَفْنَ رُقـادَا

يَتَلَفَّتُون وراءَ كـلِّ جـــــــــزيـرةٍ

ويســـــائلونَ الموجَ و الأطوادَا

من أىِّ وادِ .. مـــوجـــةٌ هتـــفَتْ به

ومضى ، فـحمَّلَها السلامَ ، وعادَا

لو أنصـفـوا قَدَرُوا بطولةَ فـارسٍ

لبـلادِهِ بدَمِ الحُشـاشـةِ جـادَا

نادَى بأحـرارِ الرجـالِ فـقـرَّبوا

مُهَجـاً تموتُ وراءَه اسـتـشـهـادا

يـدعـــو لحقٍّ أو لإنسـانيَّةٍ

تأبى السـجـونَ وتَلْعَنُ الأصـفـادَا

شيخَ الفوارسِ حَسْبُ عَيْنِك أن ترى

هذى الفـتـوحَ وهذهِ الأمـجـادَا

« الرِّيفُ » هَبَّ منازلاً وقـبـائلاً

يدعـو فـتـاهُ البـاسلَ الذَّوَّادَا

حَنَّ الحُسامُ لقَبضَتَيْكَ ، وحَمْحمتْ

خـيلٌ تُقَرِّبُ من يديكَ قِيـادا

وعلى الصَّحارَى من صَدَاكَ مَلاحِمٌ

تُشْجِي النُّسـورَ وتُطْرِبُ الآسـادَا

أوْحَتْ إلى العُرْبِ الحُداءَ ، وَألهمتْ

فُرسـانهمْ تحت الوغى الإنشـادا

عـبدَ الكريمِ انظُرْ حِيالكَ هل ترى

إلا صـراعـاً قـائمـاً وجـهـادا

الشـــرقُ أجْمَعَـــهُ لواءٌ واحـــدٌ

نَظَـ مَ الصـــفـــوفَ وهيَّأ القُوّادا

لم يتـركِ السـيفُ الجـوابَ لسـائلٍ

أو يَنْسَ من مُتَرَقِّبٍ مـــيـــعـــادا

سـالتْ حلوقُ الهـاتفـينَ دمـاً ، ومـا

هزُّوا لطاغـيـةِ الشـعـوبِ وِسـادَا

فـــصُغِ البـيـــانَ بهِ ، وأنْطِقْ حَدَّهُ

يَسْمَعْ إليكَ ، مُكَرَّراً ومُعـــادَا

كَذَبَتْ مـــودّاتُ الشفّـــاه ولم أجـــدْ

رغمَ العـداوةِ كـالسـيـوفِ وِدادا

١٢ - الأمسية الحزينة

عند برزخ بين بحيرة المنزلة

وشاطئ البحر المتوسط

جـدَّدتِ ذاهبَ أحـلامى وليـلاتى
فَهَلْ لديكِ حديثٌ عن صبـاباتى ؟
يا كـعـبةً لخـيـالاتى ، وصـومـعـةً
رتَّلتُ فى ظلِّهـا للحـسنِ آياتى
للحُبِّ أولُ أشـعـارٍ هتـفتُ بهـا ،
وللجـمـالِ بهـا أولى رسـالاتى
عليكَ وادىَ أحـلامى وقـفتُ أرى
طيفَ الحوادثِ تمضى بعد مأساةِ
أوى إلى جَنَبَاتِ الصـخـرِ منفـردا
أبكى لأمـسـيـةٍ مـرَّت وليـلاتِ
قـد غَيَّرتنا الليـالى بَعْدَهَا سيَرا
وخلَّفتنا العـوادى بعضَ أشـتـاتِ
تلفَّتَ القلبُ فى ليـلاءَ باردةٍ
يبكى ليـالِيَكَ الغُرَّ المضـيـئـاتِ

وذكـــرياتٍ من الماضـى يُطالـعُهـــا

بينَ الحـقـولِ وشُطآنِ البـحـيـرات

* * *

يا طولَ مـــا نَغَّمَتْ للصَّخـرِ أناتى

وشـــدَّ مـــا رجَّعتْ للمـــوجِ آهاتى

يا قلبُ ، وادى الصِّبا حالتْ مسارِحُهُ

وأقـفـرتْ من صبـاياهُ الجـمـيـلاتِ

فـلا الجـداولُ تحـدوهـا مـسلسلةً

ولا الخـمـائلُ تهـفـو بالنضـيـراتِ

صَوَّحنَ من مشـرقِ الوادى لمغربِهِ

فـــمـــا بهنَّ مُطيفٌ من خـــيـــالاتِ

ما فى حياتِكَ من سلوى تلوذُ بـها

لكنهُ الحبُّ ذاكَ القـــاهرُ العـــاتى

قـد فـاجـأتْكَ غـواشِيه التى سكنتْ

إنَّ الليـــالىَ مـــلأى بالفُجـــاءاتِ

* * *

يا لَلْبُحـيـرةِ : من يرتادُ شـاطئـهَا

ومن يُسِرُّ إلى الوادى مناجـاتى ؟

ومن يعـيـدُ لنا أطيـافَ ليلتـهـا

ومـا غَنِمْنَا عليـهـا من أويقـاتِ

وخلوةٍ فى حَفَافـيـهـا وقـد عَبَثَتْ

يَدُ الصَّبـا بحـواشـيـهـا الموشَّاةِ

يضـمُّنا باسقٌ ، فـى الشطِّ ، منفردٌ

ضَمَّ الشَّتـيـتَيْنِ فى علـيـاءِ جناتِ

وللقلوبِ أحـــاديثٌ يجـــاوبُهَا

تناوحُ الطيـرِ فى ظلِّ الخـمـيـلاتِ

* * *

يا ليلةً قـد ذهلنا عن كـواكـبـهـا

فـى زورقٍ بيـن ضـــــفَّاتٍ ولجَّادِ

يسـرى بنا مَوهِناً ، والريحُ تدفعهُ ،

كـــالنجمِ يسـبحُ فى علوىٍّ هـالاتِ

وفى الشـواطىءِ للمـجـدافِ أغنيـةٌ

يَصُبُّهـا الموجُ فى سـحـرىٍّ موجـاتِ

مـــا كـــانَ أهنأها دنيـــا ، وأهنأنا

فى ليلِها الصُّحْوِ، أوفى فجرها الشاتى

مَرَّت خيالاتُ ماضيها ، وما تَرَكَتْ

سوى وجومِ لياليها الحزيناتِ

ومن تَلَهّفِ أحنائى وثارتِهَا

يا لَلْجَوَانحِ من وَجْدى وثاراتى

ياصرخةَ القلبِ ، هل أسمعتِ منك صَدىً

مَنْ ذا يردُّ الصَّدى فى جوفِ مومـاةِ ؟

جوبى مفاوزَ أيامى فقد صَفِرَتْ

من نبعِ ماءٍ ، ومن أظلالِ واحاتِ

قضى ، على ظمأ ، قلبى بها وفمى

وضلَّتِ العينُ فيها إثرَ غاياتى

حتى العواصفُ صمَّتْ عن نداءاتى

فما تردُّ على الأيامِ صيحاتى

* * *

يا من قتلتَ شبابى فى يفاعَتِهِ

ورحتَ تسخرُ مِنْ دمعى وأناتى

حرمتَ أيامىَ الأولى مفارحَها

فما نعمتُ بأوطارى ولذّاتى

فَدَعْ فؤادىَ محزوناً يرفُّ على

ماضى ليالىَّ ، وانعمْ ، أنتَ ، بالآتى

دَعْنى على صخرةِ الماضى لعلَّ بها

مِنَ الصبابةِ والتحنانِ منجاتى !

١٣ - إلى الطبيعة المصرية

لِمَ أنتِ ، أيَّتُها الطبيعةُ ، كالحزينةِ فى بلادى ؟
لولا أغـــاريدُ ترسلُ بينَ شـــاديةٍ وشـــادى
وخـيـــالُ ثَوْرٍ حـولَ ســاقـيـــهِ يُراوحُ أو يُغـادى
وقطيعُ ضأنٍ فى المروجِ الخضرِ يُضربُ بالهوادى
لحـســبتُ أنكِ جَنَّةٌ مـهـجـورةٌ من عـهـدِ عـادِ
هجـروكِ ، لا كنتِ العـقـيمَ ولَستِ مُنْجِبَةَ القَتـادِ
عـجـبـاً ومـاؤكِ دافقٌ ونجـومُ أرضكِ فى اتِّقـادِ
لو كنتِ فى الغـربِ الصنَّاعِ لكنتِ قِبلةَ كلِّ هادى
وافـتنَّ فـيكِ الفنُّ بالروحِ المُحـرِّكِ للجـمـــادِ
وتفـجَّرَ المَرحُ الحـبـيسُ بكلِّ ناحـيـةٍ ووادى
ولقلتُ أبتـدرُ الشُّداةَ غـداةَ فـجـرٍ أو تنادى
هذى الروائعُ فيكِ لم تُخْلَق لغـيركِ ، يا بلادى !

١٤ – على النيل

من ابن الشمال إلى ابن الجنوب

أخى ! إنْ وردتَ النِّيلَ قبلَ ورودى
فـحىٍّ نِمـامى عِنْدَهُ و عُهُودى
وَقَبِّلْ ثرىً فـيـه امـتـزجنا أُبُوَّةً
وَنُسْلِمُهُ لابنٍ لنا وحـفـيـدِ
أخى ! إنْ أذانَ الفجرِ لَبَّيتَ صوتَهُ
سَمِعْتَ لتكبيرى ووقْعِ سجودى
ومـا صُغْتَ قـولاً أو هتـفتَ بآيةٍ
خَلا مَنطقى من لَفْظِهَا وقصيدى
أخى ! إنْ حواكَ الصبحُ ريَّانَ مشرقاً
أفَقْتُ على يومٍ أغـرَّ سـعـيـدِ
أخى ! إنْ طواكَ الليلُ سهمانَ سادرا
نَبا فيه جنبى واستحالَ رقودى
أخى ! إنْ شربتَ الماءَ صفواً فقد زكتْ
خمائلُ جنَّاتى وطابَ حصيدى
أخى ! إنْ جفاكَ النهرُ أو جفَّ نبعُهُ
مشى الموتُ فى زهرى وقصَّفَ عودى

فكيفَ تُلاحـينى وألحـاكَ ؟ إننى
شهيدكَ فى هذا .. وأنتَ شهيدى !
حيـاتُكَ فى الوادى حيـاتى ، فـإنما
وُجـودُكَ فـى هذى الحيـاةِ وجـودى

* * *

أخى ! إنْ نزلْتَ الشاطِئَيْن فَسَلْهما
مَتى فَضَلا مـــا بيننا بحـــدودِ ؟
رَمـــانى نَذيرُ السُّوءِ فـــيكَ بنَبْأةٍ
فَجَلَّلَ بالأحـــزانِ ليلةَ عـــيـــدى
وغـامتْ سـمـائى بعدَ صَفْوٍ وأُخْرِسَتْ
مـــزَاهرُ أحـلامى ومـاتَ نشـيـدى
غـــداةَ تَمنَّى المســـتـــبـــدُّ فِراقنا
علـى أرضِ آباءٍ لـنـا وجـــــــدودِ
وزفَّ لـنـا زَيْفَ الأمـــــانى عُلالةً
لـعلَّ بنا حُبَّ الســـيـــادةِ يُودى
أُخـــوَّتُنا فـــوقَ الذى مـــانَ وادَّعى
ومـــا بيننا من سيِّـدٍ ومـــســـودِ
إذا قالَ «الاستقلالُ» فاحْذَرْهُ ناصباً
فِخـاخَ «احـتـلالٍ» كـالدهورِ أبيـدِ

وكم قَبْلُ منَّانى ، على وَفْرِ ما جَنَى
بِحَرْبَيْنِ ، من زرعى وضَرْعِ وليدى
فلمـــا أتاهُ النصـــرُ هاجَتْهُ شِرَّةٌ
فـــــهمَّ بنكرانى ورامَ جُحُودى
ألا سَلْهُ ، ماذا بَعْدَ سبعينَ حجَّةً
أأنجـزَ من وَعْدٍ ؟ أفكَّ قـيـودى ؟

١٥ - القبَّرة

عن الشاعر الانجليزى شلى

يا أيهـا الرُّوحُ يهـفـو حَوْلَهُ الفَرَحُ
تحـــيَّةً ، أيُّهـــذا الصـــادحُ المَرِحُ
من أمَّةِ الطَّيْرِ هذا اللحنُ ما سمِعتْ
بمثلـه الأرضُ ، لا روضٌ ولا صَدَحُ
أنت الذى من ســمــاءِ الرُّوحِ منهلُهُ
خـــمـــرٌ إلـهـــيـــةٌ لم تَحْوِهَا قَدَحُ
يفـيضُ قلبُك ألحـــاناً يُسلسِلُهـــا
فنٌ طليقٌ من الوجـدانِ منسـرِحُ !

* * *

وعـالـيـاً ، عـالـيـاً ، لا زلتَ منطلقـاً
عن الثـرى ، تصِلُ الآفـاقَ آمـادا
مثلَ السـحابةِ ، من نارٍ ، مُسَعَّرَةً ،
والبـرقِ مـؤتلقـاً ، والنَّجمِ وقَّادا
يهـفو جَنَاحـاكَ فى أعـماقِ زُرْقَتِهـا
وأنتَ تَضْرِبُ فـى الآفـــاقِ مُرتاداً

تشـدو فَتُمْعِنُ فـى أجـوازِهَا صُعُدا

فــإِنْ عَلَوْتَ بهــا أَمْعَنْتَ إنشــادا

* * *

ومــائجٍ ذَهبىِّ النُّورِ قــد غــرقتْ

فى ذَوْبِهِ الشمسُ عَبْرَ العالمِ الثانى

تُوَهِّجُ السُّحبَ البـيـضــاءَ حُمـرتُه

فَتَسْتَحــيلُ عليــهــا ذاتَ ألوانِ

أشــعــةٌ ذاتُ أمــواجٍ غَدَوْتَ بهــا

تطفـو وترسبُ فى لُجيِّهـا القـانى

كــأنما أنت – جــذلاناً تراوحنا –

روحٌ مـن الـطَرب الـعـلـوىِّ نـورانـى

* * *

تذوبُ حــــولكَ إمَّا طِرْتَ فـى أفُقٍ

غلالةُ الأرجوانِ الشاحبِ الساجى

كنجـمـةٍ فى سـمـاءِ اللَّيلِ خـافـقـةٍ

تـذوبُ فـى فَلَقٍ لـلـصــــبـحِ وهَّاجِ

يـا مـن تُطرِّبـنـى ألحــــانُ غِبْطَتِهِ

ومــا رَأيتُ لَهُ طيــفــاً بمعــراجِ

ألاَّ أراكَ فـإنى سـامعٌ نغـمـاً

يهـفـو إلىَّ بإطرابٍ وإبهـاجِ

* * *

وصاعداً فى مضاءِ السهمِ أرسلَهُ

قوسٌ من الكَوْكبِ الفضىِّ منزعهُ

ينأى فيخبو رويداً وهْجُ شُعْلَتهِ

حتى يُلاشَى كأنَّ الفجرَ يتبعهُ

ونرسلُ العينَ نرعاهُ هنا وهنا

وما يبينُ لنا من أيْنَ مطلعهُ

حتى إذا عزَّنا المرأى وأجهدنا

دلَّ الشعورُ على أنْ ذاكَ موضعهُ ! !

* * *

هذى السماءُ بموسيقاكَ مائجةٌ

والأرضُ يغمُرُها من صوتكَ الطَرَبُ

وصفحةُ الليلِ أصفى ما يكونُ سوى

غمامةٍ خلَّفَتها وَحْدَهَا السُّحُبُ

وقد بدا القَمَرُ الوضَّاحُ يُمطرها

إرسالَ ضوءٍ على الآفاقِ يَنْسَكِبُ

يرمى السموات سيلٌ من أشعَّتِها
تكادُ تسبحُ فى طوفانِهِ الشُّهُبُ

* * *

من أنتَ ، يا من يجوبُ اللَّيلَ منفرداً
ولم تقعْ لى عليهِ بَعْدُ عينانِ ؟
أىُّ الخليقةِ قل لى أنتَ تشبهُه
وأيها منكَ فى أوصافِهِ دانى ؟
وهذه السُّحْبُ أصباغاً مُشَكَّلَةً
فى رائعٍ من فَريدِ اللَّونِ فتَّانِ
لا ينزلُ الغيثُ منها مثلما نزلتْ
شتَّى أغانيكَ فى سحرىٍّ ألحانِ !

* * *

كشاعرٍ فى سماءِ الفكرِ مُختبئٍ
دلَّ الوجودَ عليه لحنُه العالى
ألحانُ أغنيةٍ أمسى يُرتِّلها
كمرسلٍ من نشيدِ الخُلْدِ سيَّالِ
أسلَنَ بالعالمِ السالى خوالجَهُ
حتى استحالَ شجوناً قلبُه الخالى

بعَثْنَ من ألمٍ فـــيـــهِ ومن أملٍ

مـــا لم يكنْ منهُ فى يومٍ على بالِ

* * *

كـــأنَّ حـــوريةً فى ظلِّ شـــاهقـــةٍ

من البروجِ تقضِّى العيشَ فى خُلَسِ

لم يُغمضِ النومُ عينيها ولا خمدَتْ

نيـرانُ قلبٍ لـهـا فى فَحْمَةِ الغَلَسِ

باتتْ تلطِّف الامـــاً تســـاورُها

فى عـزلةٍ بنشيدٍ ساحـرِ الجـرسِ

تطوفُ ألحـانُ موسيقـاهُ مـخدعـها

كـأنهُ الحبُّ فى إيقـاعـهِ السلِسِ

* * *

كـأنَّ بين الرُّبا التـفَّتْ خـمـائلُهـا

فـراشـةٌ من سـبـيكِ التِّبـرِ جَلواءُ

يا حـسنَ أجنحـةٍ منهـا مـذهبـةٍ

قـد رقَّشـتـهـا مِنَ الأسـحـارِ أنداءُ

تُرِى السماءَ صفاءً فهى إنْ خطرتْ

فللســمـــاءِ بهـذا اللَّونِ إغـــراءُ

تجلو الأزاهرَ والأعشابَ طلعتُها
إذا بدتْ ولها فيهنَّ إخفاءُ

* * *

كزهرةِ الحقلِ في غَيْناءِ سُرْحتِها
لم يملأِ النورُ منْ أجفانِها حَدَقا
حتى إذا لَفَحَتْها الريحُ هاجرةً
زكتْ وأربتْ على أملودِهَا ورْقا
وأرَّجَ الحقلَ من أنفاسِها عبقٌ
يشوقُ كلُّ جناحٍ نحوها خَفَقَا
تهفو إليها من الأنسامِ أجنحةٌ
منْ كلِّ مُنطلقٍ من عطرِهَا سَرقا

* * *

ووقعُ لحنكَ في الأسحارِ أرخمُ من
وقعِ النَّدَى فوقَ أعشابِ البساتينِ
قد نقَّط الزَّهَرَ المنضورَ سلسلهُ
وجادَ بالطلِّ أقوافَ الرياحينِ
يا منْ على صوتهِ في الأفْقِ منسجماً
تصحو الأزاهرُ في أفنانِها الغينِ

كلُّ البدائعِ مـهمـا افتنَّ مـبدعُهـا
لـم تَعْدُ لحنَكَ فـى صَوْغٍ وتلحـــينِ

* * *

قل لى : أمن مَلَكُوتِ الرُّوحِ منطلقٌ
أم طائرٌ أنتَ فى الآفـاقِ هيـمـانُ ؟
أىُّ الخـــواطِرِ من حُسْنٍ ومن بَهَجٍ
يُشيعها منكَ فى الأرواحِ وجدانُ ؟
لم تشـرئبُّ قلوبٌ من أضـالعـهـا
لـغـيـــرِ صَوْتِكَ أو تنصبُّ آذانُ
حـديثُ حبٍّ وخـمـرٍ باتَ يسكبُهُ
من جـانبِ اللّهِ أنغـامٌ وألحـانُ !

* * *

من أينَ تلك الأغانى أنتَ تُرسلُهَا ؟
من أىِّ مطَّرِدِ الينبـوعِ مُنَسـجِمِ ؟
من أىِّ ثائرةِ الأمـواجِ زاخـرةٍ ؟
أىِّ السـهـولةِ والأغـوارِ والقِمَمِ ؟
وأىِّ حـبٍّ أليـفٍ مِنكَ أو وطـنٍ ؟
وأىِّ جـهلٍ لما نلقـاهُ من ألمِ ؟

* * *

وفى منامِكَ والآفـــاقُ حـــالمةٌ

وفى انتباهكَ والظلماءُ إصغاءُ

لابدَّ من نبـــأ للمـــوتِ تعـــرفـــهُ

وفى فـؤادكَ عنهُ اليـومَ أشـيـاءُ

لأنْتَ أعـمقُ فكراً فى حـقـائقـهِ

مما نراهُ ونحنُ اليـومَ أحـيـاءُ

أو لا ! فكيفَ انسجامُ اللَّحنِ مطَّرداً

يُجـــريهِ من رائقِ البِلَّورِ لألاءُ ! ؟

* * *

إنا نفكِّرُ فى مـــــاضٍ بلا أَثَرٍ

ومُقبلٍ من حـيـاةٍ كلهـا غـيبُ

ومـــســـتـــحلِ نرجِّى برقَ ديمَتِهِ

وكلُّ مـا نرتجـيـهِ منهُ مـخـتلبُ

وكم لنا ضـحكاتٌ غـيـرُ صـادقـةٍ

ما لم يشبْ صفوَها التبريحُ والوصَبُ

وإنَّ أشـهى الأغـانى فى مسـامعِنَا

ما سالَ وهو حزينُ اللحنِ ، مكتئبُ !

* * *

هَبْنَا على رَغْمِ هذا ليسَ يَجمعُنَا
بالحقدِ أو كبرياءِ النَفْسِ أوهاقُ
فلا القلوبُ لدى البأساءِ جازعةٌ
ولا بهنَّ إذا رُوِّعنَ إشفاقُ
وإننا قد دَرَجْنا فى خَليقتِنَا
بلا دموعٍ تذرِّيهنَّ آماقُ
فكيفَ كنا إذاً نلقاكَ فى فرحٍ !
أو يغمر الروحَ لحنٌ منه رَقْراقُ ! ؟

* * *

يا أعذبَ الطيرِ موسيقى وأروعَهَا
من كلِّ رائقِ أنغامٍ وألحانِ
ويا أعزَّ لنا من كلِّ ما جمعتْ
نفائسُ الكُتْبِ من دُرىً تبيانِ
يا ما أحقَّ اقتدارا منكَ قدرتهُ
بشاعرٍ لَبِقِ التصويرِ فنَّانِ
أنتَ المبرَّأ فى حُبٍّ وعاطفةٍ
يا من تعاليتَ عن أرضٍ وإنسانِ

* * *

أمـــا تُعلِّمنى مما يفـــيضُ بهِ
غناؤكَ العَذْبُ تطراباً وتحنانا !
ذاكَ الحنونُ الذى يُهدى توافقهُ
إلىَّ من صَدَحَاتِ الخلدِ ألحانا !
ألستَ تُلهمنى وحياً يفيضُ به
فمى ، فَأملأُ قلبَ الكونِ إيمانا !
أشدو فيُلقى إلىَّ الكونُ مِسمعهُ
يُصغى إلىَّ كما أصغى لَكَ الآنا !

✍ ✍ ✍

١٦ - الملاّح التّائه

أيهـــا الملاّحُ قمْ واطوِ الشّراعـــا
لِمَ نطوى لُجّةَ اللّيلِ سِرَاعـــــا
جَدِّفِ الآنَ بـــنـــا فـــى هِيـــنـــةٍ
وجـهـةَ الشـاطىءِ سـيـراً واتِّبـاعـا
فَغَداً ، يا صـــاحـــبى ، تأخُذُنا
مـوجـةُ الأيّام قـذفـاً واندفـاعـا
عَبَثـاً تقـفـو خُطى الماضى الذى
خِلْتَ أنّ البـحـرَ واراهُ ابتـلاعـا
لـم يكنْ غـــيـــرَ أويقـــاتِ هوىً
وقـفتْ عن دوْرَةِ الدهرِ انقطاعـا
فـــتَمَهّلْ ، تســـعـــدِ الرُّوحُ بما
وهِمَتْ ، أو تطربِ النفسُ سـمـاعـا
وَدَعِ اللـيـلـةَ تمضـى ، إنـهـــــا
لـم تكنْ أولَ مـــا ولّى وَضَاعـــا
ســوفَ يبـدو الفـجـرُ فى آثارها
ثمّ يمـــضـى ، وَدَوَاليكَ تِبَاعـــا

هذهِ الأرضُ انتشتْ مما بها
فَغَفَتْ تحلُم بالخلدِ خداعا
قد طَوَاها الليلُ حتى أوشكتْ
من عميقِ الصَّمْتِ فيه أنْ تُراعا
إنَّهُ الصمتُ الذى فى طيِّه
أسفرَ المجهولُ ، والمستورُ ذاعا
سَمِعَتْ فيه هُتافَ المنتهَى
من وراءِ الغيبِ يُقريها الوَدَاعا
أيها الأحياءُ ، غنُّوا واطرَبوا
وانهبوا من غَفَلاتِ الدَّهرِ ساعا

* * *

آهِ ، ما أروعَها من ليلةٍ
فاضَ فى أرجائها السحرُ ، وشاعا
نَفَخَ الحبُّ بها من روحِهِ
ورَمَى عن سرِّها الخافى القناعا
وَجَلا من صُوَرِ الحُسْنِ لنا
عبقرياً لَبِقَ الفنِّ صَنَاعا
نفحاتٌ رَقَصَ البحرُ لها
وهفَا النجمُ خُفوقاً والتماعا

وسرى من جانبِ الأرضِ صدىً

حَرَّكَ العُشْبَ حناناً واليَرَاعـــا

بَعَثَ الأحـلامَ من هجـعـتِهـا

كسـرايا الطَيْرِ نُقِّرْنَ ارتيـاعـا

قُمْنَ بالشـاطىءِ من وادى الهـوى

بنشـيدِ الحبِّ يهـتـفنَ ابتـداعـا

أيهـا الهـاجـرُ عـزَّ المُلتـقى

وأذبتَ القلب صـدا وامـتناعـا

أدركِ التـائهَ فى بحـرِ الهـوى

قَبْلَ أنْ يقـتلَهُ الموجُ صِراعـا

وارعَ فى الدنيـا طريداً شـارداً

عنهُ ضـاقتْ رقـعةُ الأرضِ اتساعا

ضـلَّ فـى الـلـيـل سُراهُ ، ومَضَى

لا يَرى فـى أفُقٍ مـنـه شُعَاعـــا

يجـتـوى اللافِحَ من حَرْقـتِهِ

وعـذابٍ يُشـعلُ الرُّوحَ التـيـاعـا

والأسـى الخـالدَ من مـاضٍ عَفَا

والهـوى الثـائرَ فى قلبٍ تداعى

فـاجـعلِ البـحـرَ أمـانـاً حـولَهُ

واملأِ السـهلَ سـلامـاً واليَفَاعـا[1]

وامـــــسحِ الآنَ عـلـى آلامـــــهِ

بيـدِ الرفقِ التى تمحـو الدُّمـاعـا[2]

وَقُدِ الـفُلْـكَ إِلـى بَرِّ الـرِّضـى

وانشُرِ الحبَّ على الفُلْكِ شِراعـا

(١) اليفاع : ما ارتفع من الأرض .

(٢) الدَمَّاع : كثير الدمع .

١٧ - راكبة الدّراجة

تمَهَّلى فـــراشـــةَ الصَّبـــاحِ
أسْرَفْتِ فـــى الـــغُدوِّ والـــرَّواحِ
مـــاذا ارتيـــادُ الطُّرُقِ الفِســـاحِ
والوثبُ فـــوقَ العُشْبِ والصُفَّاحِ
بـين الـرَّوابـى الخُضْرِ والـبطـاحِ
بـالشَّعَرِ المـهـــــدَّلِ الســـــبَّاحِ
كـالموجِ تحتَ العـاصفِ المجتـاحِ
والنهـــدِ وهـو مُطْلَقُ الســـراحِ
يخـــفقُ بين الصـــدرِ والوشـــاحِ
والسـاقُ خَلْفَ السـاقِ فى كـفـاحِ
فى حَلْقَةٍ طاغـــيـــةِ الجـــمـــاحِ
تدورُ مـــــثلُ البـــــارقِ اللمَّاحِ
تـــودُّ لـــو طـــارتْ مـــع الـــريـــاحِ
وحلَّقَتْ فى كـــــبـــــدِ الصُّراحِ
بلطفِ هذا الجـــســـدِ الممـــراحِ
وخِفَّةٍ فـى روحـكِ الـصـــــــداحِ

تكادُ تُغْنِي الطيـــــرَ عن جَنَاحِ !
يا لـهَواءٍ عـــــابثٍ مـــــفـــــراحِ
سكرانَ ، لا من خـــمـــرةِ الأقـــداحِ
بَلْ من صبِـــاكِ ، والصَّبـا كـــالرَّاحِ
يرفـعُ طرفَ الثـــــوبَ فـى مـــــزاحِ
لا يَسْتَحـــى مـــن لائـــمٍ ولاحـــى

١٨ - على حاجز السفينة

● حَنَتْ على حاجزِ السفينة
تـــرنـــو إلـــى الـــرَّغْوِ والـــزَّبَـــدْ
● كأنها الفتنةُ السجينة
تمضـى بـهـــــــــا لُجَّةُ الأبـدْ
● نَبَتْ بهـــا ضَجَّةُ المكانِ
يزَينهـــــا الصَّمْتُ والجـــــلالُ
● والبحرُ من حولها أغانى
والسُّحْبُ والريحُ والجـــبـــالُ
● ساحرةٌ وحدها تُطِلُّ
بِمـــلْتَقَى الـــنـــورِ والـــظـــلامِ
● لا تسـأمُ الصَّمْتَ أو تَمَلُّ
تَهـــامَس الشُّهْبِ والغـــمـــامِ
● تُصْغِى إلـى الموجِ والرياحِ
فـى مَعْزِلٍ شـــــــاقَ كلَّ عَيـنْ
● كأنها نجمـةُ الصباحِ
مُطِلَّةٌ من ســـحـــابتـــينْ

● هفـهافـةُ الثـوبِ فى بيـاضِ
يـكادُ عـن روحـــــهـــــا يشـفُّ

● لأىِّ ذكـــرى وأىِّ مـــاضٍ
يَسْرى بهـا خـاطرٌ ويَهـفـو ؟

● ومـــا وراءَ العُبـــاب تَبْغِى
وأىُّ ســـــرٍّ لـهـــــا تَبـــدّى

● وأىُّ لحن إلِيـــه تُصـــغى
بروحـهـا الحـالمِ اسـتـبـدًا ؟

● عـجـبتُ للبـحـرِ مـا عَرَاهُ
يـودُّ لـو مـسَّ نـاظـريـهـــــــا

● يتـاخمُ النَّجمَ فى عـــلاهُ
ويَنثنى جـــاثيـــاً لديهـــا

● وهـائمٍ فى الفـضـــاءِ صَبٍّ
مُجنَّحٍ لا يَبـــيـنُ طيـــفـــا

● كـم ودَّ لو - من ضَنَى وحُبٍّ
هَوَى على صَدرهـا وأغـــــفـى

● كـم بـثَّ مـن أنَّةٍ و ألْقَى
بهـمْسـةٍ ضـائعُ صـداها

● ياوَيحـهُ لا يَحـيـرُ نُطقـا
فكيفَ تُلْقِي لـه انتـــبـــاها ؟
● أنفـــاسُهُ عن جَواهُ تُغْنِي
عليلةٌ خـــفْقُهـــا اضطرابُ
● كـــآهـةٍ فـى فَمِ المُغَنَّى
جـــريحـــةٍ لَحنُهـــا العـــذابُ
● يدنو ، ويرتدُّ فى حـيـاءِ
يُجـــاذبُ الثـــوبَ والشَّعَرْ
● وكلمـا كلٌّ من عـيـاءِ
أثارهُ الوجـــدُ فـــاســـتـــعَر
● يضـمُّها راعشـاً ، ويمـضى
مُبـــاعـــداً ، وهـو مـــا ابتـــعـــدْ
● كـأنَّهُ بالحنينِ يقـضـى
لُبـــانةَ الرُّوحِ و الجَســـــدْ
● والقـمرُ الطالـعُ الصـغـيرُ
أزاحَ عن وجـــهـــهِ السَّحـــابا
● وقـد جـرى ضـوءه الـغـريرُ
يســتـــشـــرفُ الأفقَ و العُبـابا

● ألمرحُ العـــابثُ الطروبُ

لما دعـــا باســـمـــهِ الشـــروقُ

● نادتْ به مـوجـةٌ لعـوبُ

إلـىَّ .. يـا أيّهـــــا المشـــــوقُ

● طـالَ عـلـى المـنْتَأى طُروقـى

وطالَ مـــســـــراكَ فـى السَّمـــاءِ

● فَنَمْ على صـدرىَ الخـفـوقِ

واحْلُمْ بمـا شِئْتَ مـن هـنـاءِ

● وأنْسِنِى وحـشـةَ الليـالى

بقُبْلةٍ منكَ ، يا حـــبـــيـــبى

● لكنَّهُ مـــرٌ لا يبـــالى

ولجٌ فى صـــمـــتـــهِ العـــجـــيبِ

● مـــذ أبْصَرَتْهُ انثنى ومـــرًا

قـــالتْ ، ومن دمـــعـــهـــا مَسِيلُ :

● لأنتَ مـــثلُ الرجـــالِ طُرًا

يا أيُّهـــا الخـــائنُ الجـــمـــيلُ

● وهبـتُكَ الغضَّ من شـبـابى

سكرانَ من خـمـرِ أمـسـيـاتى

● فـأينَ تمضى على العُبـابِ

من صَوْتِ حُبّى وذكـــــرياتى ؟

● ومن هىَ الغـــادةُ التى

تنسلُّ من مـــخـــدعى إليـــهـــا

● أعندها مـــثلُ فـــتنتى

أم أننى أفْتَرِى عليـــــهـــــا ؟

● إذهبْ إليـهـا ودعْ ذمـامى

فـــــديتُكَ ، اسْلَمْ على التنائى

● إذْبَحْ على صـدرها غـرامى

واملأ لهـا الكأسَ من شـقـائى

● والْهُ مع الغـيـدِ والعـذارى

وغـنِّ بـالـكـأسِ والـوتـرْ

● وانـقـعْ مـن الـغُلَّةِ الأوارا

واقـطف مـن الـلَذةِ الـثُمـــــــرْ

● أبوكَ ، والطبعُ لا يحـولُ ،

وَرِثْتَهُ خِلْقـــــةً و خَلْقـــــا

● يا أيـهـــا القَلْبُ الملولُ

من قـبـضـتى لن تنالَ عِتْقـا

● مُطاردٌ أنتَ باشتياقى
ما جُبْتَ أرضاً وجُزْتَ بحرا

● مُقَيَّدٌ أنتَ فى وثاقى
وإنْ رأتْكَ العيونُ حُرّا

● لأنتَ مهما كَبُرتَ طِفْلِى
يا ابنَ الهوى البكْرِ والألَمْ

● خُطاكَ مسبوقةٌ بظلّى
وإنْ تعلّقْتَ بالقِمَمْ

● سأحفظُ العَهدَ مِنْكَ دَوْما
وأقطَعُ العمرَ فى انتظارِكْ

● وسوف تأوِى إلىّ يوما
تبكى ، وأبْكى إلى جوارِكْ

● ضراعةٌ من عذابِ أنْثَى
مَشَتْ على المائجِ الغضوبِ !

● صغا لها الليلُ واستحثّا
سواكنَ الريحِ للهُبوبِ

● وحدّقتْ فى الدُّجَى نجومُ
غَيْرَى ، تغامزنَ بالخبرْ

● وغـمـغـمتْ نجـمـةٌ رؤومُ

أمـا يرى ضـوءَهُ القـمـرْ ! ؟

● أمـــا يرى ذلكَ الصَّبِيَّا

يُؤَلِّبُ البـــحـــرَ والظلامـــا ؟

● فـــيـــا لَهُ فـــاتنا خَلِيًّا

يُزوِّرُ العـــشقَ والغـــرامـــا !

● كم ليلةٍ بعـدَ ألفِ ليلةْ

لـم تَرْوِها عنه شـــهـــر زادُ

● وكـم عـنـاقٍ لـهُ وقُبْلـةْ

فـى كِذْبـةٍ لفظُهـــا مُعـــادُ

● فاستوعبَ الضوءُ ملءَ حسِّهُ

مـــفـــاتنَ الناسِ والطبـــيـــعـــة

● مُردّداً فى قـــرارِ نفـــسِهْ

مـا أبشعَ الغـيـرةَ الوضـيـعـة ؟

● وارتعشَ الضـوءُ ثم أضْفَى

من حـولِهِ الصـفـوَ والسَكينَة

● وابتـسـمتْ نفـسُهُ فـألْفَى

خطاهُ فى جـــانبِ الســـفـــينَة

● فـراعَهُ ذلكَ الجـمـالُ

جـمـالُهـا الصّامتُ الحـزينُ

● فشـاقَهُ الشّعرُ و الخيـالُ

وهـزّهُ الوجـــــدُ والحـنيـنُ

● فـقـالَ : يا روعـةَ المسـاءِ

وفِتنةَ اللُّبِّ و البـــصـــــر

● قـد آذنَ الليلُ بانقـضـاءِ

وأنتِ مـــوصـــولةُ الســـهـــر

● أيّتُهـا المَلْكَةُ الكسـيـرةْ

أيتُهـــا الربّةُ الخـــجـــولَة

● أيتُهـا الطفلةُ الكبـيـرة

لن تَبْرَحى عـــالَم الطفـــولَةْ !

● أعلمُ مـا تكتـمـينَ عنّى

وإنْ تلثّمْتِ بـالخـــــفـــــاءِ

● خـمسُ ليـالٍ وأنتِ منى

مـتـبـوعـةُ الظلِّ باشـتـهـائى

● قـد كنتُ أزْهَى بما عـرفتُ

مـن فِتَنِ الحـــــسنِ والدلالِ

● لكنَّنى الليلةَ اكتشفتُ

أروعَ ما شِمْتُ من جمالِ

● عشقتُ فيكِ الهوى و ذُلَّهْ

فى زَهْوَةِ الحسنِ والشبابِ

● وذلكَ الصَّمتَ ، ما أجلَّهْ

فى عالمِ اللَّغْوِ والكِذابِ

● هاربةٌ أنتِ ، يا فتاتى

من ثورةِ الشكِّ والرِّيَب

● هَرَبْتِ من ضجَّةِ الحَياةِ

فكيفَ من نفسكِ الهَرَبْ ؟ !

● بها ابدئى أولاً فسلِّى

وردكِ من شوْكِهِ الأثيمِ

● لا البُعْدُ يجدى و لا التسلِّى

كطعْنكِ الغدْرِ فى الصميمِ

● هنيهةً لم يَطُلْ مَداها

تروعُ بالصَّمتِ و الشحوبِ

● لم يبلغِ الليلُ مُنتهاها

إلاَّ على رَوْعَةِ المغيبِ

● والتـفتَ الضـوءُ للوداعِ
يهـمسُ فى رِقَّةٍ و وجـدِ
● يا ربَّةَ الحسنِ لا تُراعِى
فَلْتَرْعَكِ الكـائنـاتُ بعـدى
● يا ليلُ ، يا مـوجُ ، يا رياحُ
أيتُهـا السُّحْبُ و الظلالُ
● أيتـهـا الغُورُ و البِطاحُ
أيتـهـا الشـهبُ و الجـبـالُ
● فى الجوِّ ، فى الماءِ ، فى الثرى
صـونى لهـا العـهـدَ والودادا
● رُدِّى على عـينهـا الكرى
وابْعِدِى الفِكْرَ و السـهـادا
● وانقـذيهـا مِنَ الجـوى
يا عـاشـقـاتى على الزَّمـانِ !
● بكلِّ مـا فـيكِ من قُوَى
وكلِّ مـا فىَّ من حنان ! !

١٩ - إنتظار

طالَ انتظارُكَ فى الظلامِ ولم تَزَلْ
عـــيناىَ ترقبُ كلَّ طيفٍ عـــابرِ
ويطيـرُ سـمـعى صـوبَ كلِّ مُرِنَّةٍ
فى الأفقِ تخـفقُ عن جَناحىْ طائرِ
وترفُّ روحى فـوقَ أنفـاسِ الرُّبا
فلعلَّهـا نَفَسُ الحـبـيبِ الزائرِ
ويَخِفُّ قلبى إثرَ كلِّ شُعـــاعـــةٍ
فى الليلِ تومضُ عن شـهـابٍ غـائرِ
فلـعلَّ مـن لَمَحَاتِ ثغـــركَ بـارقٌ
ولعلَّه وَضَحُ الجـبـينِ الناضـرِ
لـيلٌ مـن الأوهـامِ طالَ سُهـــادُه
بين الجوَى المضنى وهجسِ الخاطرِ
حـــتى إذا هَتَفَتْ بمقـــدمِكَ المُنى
وأصـخْتُ أسترعى انتباهةَ حـائرِ
وسَرى النسيمُ من الخمائلِ و الرُّبى
نشوانَ يعبقُ من شذاكَ العاطرِ

وترنَّم الوادى بسلسلِ مـــائِهِ

وتَلَتْ حمـائمُهُ نشـيدَ الصـافرِ

وأطلَّتِ الأزهـارُ من ورَقـــاتهـــا

حـيـرى تَعـجُّبُ للربيعِ البـاكـرِ

وَجَرَى شُعَاعُ البَدْرِ حولَكَ راقصـاً

طَرِباً على المرجِ النضـيـرِ الزاهرِ

وتجلتِ الدنيـــا كـــأبهجِ مـــا رأتْ

عـينٌ وصـوَّرها خـيـالُ الشـاعـرِ

ومـضتْ تُكذِّبنى الظنونُ فـأنثنى

مُتـسـمِّعـاً دقـاتِ قلبى الثـائرِ

أقْبلْتَ بالبـسـماتِ تملأُ خـاطرى

سـحـراً وأمـلأُ من جـمـالكَ ناظرى

وأظلَّنا الصـمتُ الرهيبُ ونحنُ فى

شكٍ من الدنيـــا وحلمٍ ســـاحـــرِ

حـتى إذا حـانَ الرحـيلُ هتـفتَ بى

فـوقـفتُ واسـتَبَقَتْ خُطاكَ نواظرى

وصـــرختُ بالليلِ المودِّع باكـيـــاً

ويداكَ تمسكُ بى وأنتَ مـــغـــادرى

يا ليــتنا لم نَصْحُ منكَ وليــتَهــا
مــا أعــجلتكَ رَحَى الزمــانِ الدائرِ

* * *

ولقـد أتتْ بعـدُ الليـالى وانقـضتْ
وكـــأننا فـى الـدهرِ لم نتـــزاورِ
بُدِّلتُ من عَطْفٍ لديكَ و رقـــةٍ
بحنينِ مـهـجـورٍ وقـسـوةِ هاجـرِ
وكــأننى مــا كنتُ إلفَكَ فى الصبَّا
يومـاً ولا كنتَ الحـيـاةَ مـشـاطرى
ونسـيتَ أنتَ ، ومـا نسيتُ ، وإننى
لأعيشُ بالذكرى .. لعلَّك ذاكرى !!

٢٠ - البحر والقمر

تَســـاءَلَ الماءُ فـــيكِ والشَّجـــرُ
من أين يا « كـانُ » هذهِ الصُّوَرُ ؟
البـحـرُ والحـورُ فـيـهِ سـابحـةٌ
رُؤًى بـهـــــا باتَ يَحْلُمُ الـقَمَرُ !
أطلَّ والـضـــــــوءُ راقصٌ غَزِلٌ
دعـــــاهُ قلبٌ ، وشـــــاقَهُ بَصَرُ
يـهـمسُ فـــيـــمـــا يراهُ من فِتَنٍ
آلـهـــــــــةٌ هـؤلاءِ أم بَشَرُ ؟
يقـــفـــزُ من لجـــةٍ إلى حـــجَرٍ
كـــــأنما مَسَّ روحَهُ الضَّجَرُ
مـــعـــربداً لا يريمُ ســـابحـــةً
إلاّ ومنهُ بثـــــغـــــرها أثَرُ
من كلِّ حـــوّاءَ مـــثلمـــا خُلِقَتْ
يعـــجبُ منهـــا الحـــرير والوَبَرُ
أَلْقَتْهُ عنهـــا رقـــائقـــاً ونَضَتْ
جـــســـمـــاً تَحَامَى نداءَهُ القَدَرُ

فى حـــانةٍ مـــا علَتْ بهـــا عُمُدٌ

ولا اســـتـــوى فى بنائهـــا حَجَرُ

جُدرانهـــا الماءُ ، والســـمـــاءُ لهـــا

ســـقـــيـــفـــةٌ ، والنســـائمُ السُّتُرُ

خـــمَّارُها مُنْشِدٌ ، وســـامـــرُها

حـــورٌ تلوَّى ، وفـــتـــيـــةٌ سكروا

لم تَبْقَ فى الشطِّ منهـــمـــو قَدَمٌ

قد خوَّضـوا فى العـباب وانتثروا

وشَيَّعـوا العـقلَ حـينمـا شـربوا

وَوَدَّعـوا القلبَ حـيـثـمـا نظروا

والسـابحـاتُ الحسـانُ حـولهـمـو

كـــأنهنَّ النجـــومُ و الزَّهَرُ

يزيدُ ســـيـــقـــانَهنَّ من بَهَجٍ

لونٌ عـــجـــيبُ الرُّواءِ مـــبـــتَكَرُ

يضـيءُ ورداً وخـــمـــرةً وسنىً

ذوبٌ مـن المغـــــريـات مُعْتَصَرُ

تغـــــايـر المـوجُ إذ طلـعـنَ بـه

وثارَ مـن حـــــولـهنَّ يشـــــتَجِرُ

بـــهـــنَ يـــلـــتـــفُّ مُرْتَقـــىً وَيُرَى

ينشقُّ عنـهنَّ فـــيـــه مُنْحَدَرُ

منفـــتـــلات قـــدودُهُنَّ كـــمـــا

ينفـــتل الغـــصنُ آده الثـــمـــرُ

مُـلـوِّحـــــــــات بـأذْرُعٍ عَجَبٍ

تحـــذرهنَّ النهـــودُ و الشَعـــرُ

والضـــوءُ فـوق الخُصـور منهـمـرُ

والماءُ تحت الصـدور مـســتـعـرُ

مـــازِلْنَ والبـــحـــر فى تَوَثُّبـــهِ

يُرْغِى كـــــمـــــا راع قَلْبَهُ خطرُ

قـــد جـــاوز الليلُ نِصْفَهُ فـمـتى

تؤمُّ فـــيـــه أصـــدافَهـــا الدُّرَرُ

فليـصـخبِ البـحـرُ ولتـئنَّ به

رمـــالُه ، وليـــثـــرثرِ الشـــجَرُ

ولتـعـصفِ الريحُ فـوق مـانجـه

ولينبـــجس من غـمـامـــه المَطَرُ

أقـســمنَ لا ينتـــحـــين شـاطئَهُ

وإنْ تَرامَى بمـائـه الشـــــــــررُ

حـــــتى يُرَى وهو فـــــضَةٌ ذَهَبٌ
تمازجَ الليلُ فـــــيـــــه والسَّحَرُ !

٢١ - حلم ليلة

إذَا ارتقى البـدرُ صـفـحـةَ النهـرِ
وضـمَّنا فـيـهِ زورقٌ يجـرى
وداعـبتْ نَسـمـةٌ من العِطرِ
على مُحـيَّاكِ خُصْلَةَ الشَعـرِ
حَسَوْتُهـا قـبلةً من الجَمـرِ
جُنَّ جُنونى لـهـا ومـا أدرى
أىَّ مـعـانى الفـتـونِ والسِّحـرِ
ثغـرُك أوحى بـهـا إلى ثغـرى !
حُلْمُ مـسـاءٍ أتاحـهُ دهرى
غَرَّدَ فـيـهِ الحـبـيسُ فى صـدرى

٢٢ - إعتراف

إنْ أكُنْ قد شربتُ نَخْبَ كثيراتٍ وأترعتُ بالمدامة كأسى
وتَوَلَّعتُ بالحسانِ لأنِّى مُغْرَمٌ بالجمالِ من كلِّ جنسِ
وتَوَحَّدتُ فى الهوى ثُمَّ أشركتُ على حالتىْ رجاءٍ ويأسِ
وتَبذَّلتُ فى غرامى فلم أحبِسْ على لذةٍ شياطينَ رِجْسى
فبِروُحِى أعيشُ فى عالمِ الفنِّ طليقاً والطهرُ يملأُ حِسِّى
تائهاً فى بحارِهِ لستُ أدرى ، لِمَ أزْجى الشراعَ أو فيمَ أرْسى
لىَ قلبٌ كزهرةِ الحقلِ بيضاءَ نَمَتْها السماءُ من كلِّ قَبْسِ
هو قيثارتى عليها أغنِّى وعليها وَحْدِى أغَنِّى لنفسى
لِى إليها فى خَلْوَتى همساتٌ أنْطَقَتْها بكلِّ رائعِ جَرْسِ

* * *

كم شفاهٍ بِهِنَّ من قُبُلاتى وهَجُ النَّارِ فى عواصفَ خُرْسِ
ووسادٍ جَرَتْ بهِ عبراتى ضِحكُ يومى منه وإطراقُ أمسى
أيُّهذِى الخدورُ أنوارُكِ الحمراءُ كم أشْعَلَتْ ليالىَ أنسى
أحرقتهنَّ ! آهِ لم يَبْقَ منهنَّ سوى ذلكَ الرَّمادِ برأسى !

٢٣ – أندلسية

حسنُكِ النشـوانُ والكأسُ الرويَّةُ
جـدَّدا عـهـد شـبـابى فـسَكَرْتُ
حُلْمُ أيـامٍ ولَيْلاتٍ وضـــــــيَّةْ
عَبَرَتْ بى فى حـيـاتى وعـبـرتُ
أنا سكرانُ وفى الكأسِ بقـيَّة
أىُّ خمرٍ مَنْ جَنَى الخلد عصرتُ ؟
آهِ ، هـاتى قـــــرِّبى الكأس إلـيَّهْ
واســـقنيـــهـــا أنتِ ، يا أندلســيَّة

* * *

لا تقـــــولى أىُّ صـــــوتٍ مُلْهِمِ
قَادَ روحـينا ، فـجـئنا ، والتـقـيْنا
دَمُكِ المشـبـوبُ فـيـه من دمى
روحُ ماضٍ بالهوى يهفو إلينا
أخْتَ روحى ! قـرِّبيـهـا من فـمى
إنْ شَربنا أو طربنا مـــــا علينا

آهِ هاتيـــهـــا من الحـــسنِ جَنِيَّة
واســـقْيـــهـــا أنتِ ، يا أندلســيَّة

* * *

كـــانتِ النظرةُ أولى نظرتينْ
ثُمَّ صـــارَتْ لفظةً مـــا بَيْنَنا
والهـوى يَعْجبُ مِنْ مـغـتـربَيْنْ
لـم يَقُلْ أنتِ ، ولا قـــالتْ أنا
وَسَبَـحْنا فـوقَ وادٍ من لُجـينْ
تَحْتَ أفقٍ من غـــمـــامٍ وسَنَى
أتملأُها سِمـــاتٍ عـــربيـــة
وأنادى أنتِ ، يا أندلســـيـــة

* * *

صِحْتُ يا للشَّمسِ فى ظلِّ المغيبِ
تـلـثـمُ الـزَّهْرَ وأوراقَ الـشَّجَرُ
خِلْتُهـا بين مـحبٍّ وحـبـيبِ
قُبْلَةً عـــنـــدَ وداعٍ وَ سَفَرُ
فـانثنتْ تنظرُ للوادى العـجـيبِ
صُوَراً يَذْهَبْنَ فـــى إثْرِ صُوَر

وبسـمـعى همـسـةٌ منهـا شَجِيـة

وبروحى أنتِ ، يا أندلســـيـــة

* * *

ونـزلـنـا عِنْدَ شـطٍّ مـن نُضـــــارِ

وانتـحـينا خلوةً بعـد زحـام

قلتُ والليلُ بأعـقـابِ النهـارِ :

أَلَكِ الليلةَ فى لحنٍ و جـــامٍ؟

مـا على مـغـتـربىْ أهْلٍ ودارِ

إنْ أدارا ها هنا كأس مـدامٍ؟

آهِ هـاتيـــهـــا كـــخـــدَّيكِ نقـــيَّة

واســقنيـــهـــا أنتِ ، يا أندلســيَّة

* * *

واحـــتـــوتنا بَيْنَ لَحنٍ مطربِ

حـانةٌ مِثلُ أسـاطيـرِ الزَّمـانِ

صَوَّرتْ جـــدرانُهـــا بِالذَّهبِ

فتَنَ العـشق وأهواءَ الحسـانِ

قـالتِ : اشـربْ قُلْتُ لبَّيكِ اشـربى

مِلء كـأسـين فـإنَّا ظامـئـانِ

خـــمـــرةٌ رومـــيـــةٌ أو بابليّهْ
إسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيّهْ

* * *

هتـــفتْ بى ويداها فى يدى
تدفعُ الكأسَ بإغـــراءٍ وعُجْبِ
أىُّ قـيـــثـــارٍ شـــجىٍّ غَرِدِ
خِلْتُهُ ينطقُ عَنْ أسـرار قلبى !
قلتُ طِفلٌ من قـــديمِ الأبدِ
يمـزُجُ الألحـانَ مِن خَمْرٍ وحُبِّ
ملء كـــأسٍ فى يديهِ ذهبـــيّهْ
فـاسـقنيـهـا أنتِ ، يا أندلسـيّهْ

* * *

ومـــضى الليلُ ونادى بالرواحِ
كلُّ خـــالٍ وتعـــايا كلُّ صَبِّ
وخـبـا المصـبـاحُ إلاّ كـأسَ راحِ
نورُهُ مـــا بين إيمـــاضٍ ووثبِ
قد تحدَّى وهْجُهُ ضوءَ الصباحِ
فَبَقَيْنا حـــولهُ جَنْبـــاً لِجَنْبِ

نتـســاقــاها على الفــجـرِ نديَّة
وأغنّى أنـت ، يـا أنـدلـســـــيَّة

* * *

يا عــروسَ الغــربِ ، يا أندلســيَّة
بَعُدَتْ دارك و الصـــــيفُ دنـا
أينَ أحـــلامُ اللّيـــالى القَمـــرِيَّة
والبــحــيــراتُ مُطيــفــاتٌ بِنا ؟
أذكـــرى بينَ الكؤوسِ الذّهبـــيَّة
حـــانةً ، يا ليـــتـــهـــا دامَتْ لَنَا
حـين أدعـوكِ صـبـاحـاً وعـشـيَّة
إســقنيــهــا أنتِ ، يا أندلســيَّة

٢٤ - فلسفة وخيال

نُهْزَةٌ أهْدَتِ الخـــيـــــالَ إلينا
ودعَتْنا لموعـــدٍ فـــالتـــقـــينا
ههنا تحتَ ظُلَّةِ الغـابةِ الشـجـرا
ءِ سِرْنا ، والفـــجـــرُ يحنو علينا
وقَطَفْنـا مـن زَهْرِهـا ، وانـثـنـيْنا
فَجَنَيْنا تُفَّاحـــــهـــا بيـــديـنا
وَمَرِحْنا بهـــا ســـحـــابةَ يومٍ
وبأشـجـارها نقـشْنا اسـمـينا

* * *

ههنا يا ابنةَ البـحـيـراتِ والأوديةِ الخُضْرِ والرُّبَى والجـبـالِ
صَدَحَ الحبُّ بالنشـيـد فلبَّينا نداءَ الهـوى وصـوتَ الخـيـالِ
وَتَبِعْنا على خُطَى الفجرِ موسيقى من العُشْبِ والندَى والظلالِ
وسـمـعنا حـفيفَ أجنحـةٍ تهفـو بهـا الريحُ من كـهـوفِ الليـالى

* * *

قُلْتِ لى والحـيـاءُ يَصْبُغُ خـدَّيْكِ : أنارٌ تمشى بهـا أمْ دمـاءُ ؟
ملءُ عينيكَ ، يا فتى الشرقِ ، أحلامٌ سَكَارى وصـبوةٌ واشتهاءُ

وعلى ثغـرِكَ المشـوقِ ابتـسـامٌ

ضَرَّجَتْهُ الأشـــــواقُ والأهـواءُ

أوَ حـقـاً دُنيـاكَ زهرٌ وخـمـرٌ

وغـــوانٍ فـــواتنٌ وَ غناءُ ؟

* * *

قُلْتُ : يا فـتنةَ الصِّبـا حَفِلَتْ دنيـاكِ بالحبِّ والمُنَى والأغـانى

مـا أثارتْ حـرارةَ الجَسَدِ المشـتـاقِ إلاَّ مـرارةُ الحـرمـانِ

إنَّ أجـســادنا مـــعـــابرُ أرواحٍ إلى كلِّ رائعٍ فـتَّانِ

أنا أهوى روحـيَّةَ العـالم المنظورِ لكنْ بالجـسمِ والوجـدانِ

* * *

مـا تكونُ الحـيـاةُ لو أنكرَ الأحـيـاءُ فـيـهـا طبـائعَ الأشـيـاءِ !

أنا أهواكِ كـالفـراشـةِ صـاغـتـهـا زهورُ الثرى وكفُّ الضـيـاءِ

أنا أهواكِ فِتْنَةً صـــاغـــهـــا المثَّالُ من طينةٍ ومن إغـــراءِ

أنا أهواكِ بدْعـــةَ الخلد صِيـــغَتْ من هَوَى آدمٍ ومن حـــوَّاءِ

* * *

أنـــا أهـــواكِ مـــن أثـــامٍ وطُهْرٍ

حُلْمَ إغْفـــاءَتى وصَحْوَ غـــرامى

أنا أهواكَ تُبْدعـــينَ يقـــينى من نســـيجِ الظُّنونِ والأوهـامِ
أنا أهواكِ دِفْءَ قلبى ويَنْبُوعَ اشـتـهـائى ، وشِرّتى ، وعُرامِى
وحـنـانـاً مُجـــــسَّداً إنْ طوانـى الليلُ وسَّدتُ صَدْرَهُ الامـى

* * *

يا لَلطريقِ الضـــيِّقِ الصَّاعـــدِ بين ربوتينْ
كـــأنما خُطَّ على قَدْرِ خُطىَ لعـــاشـــقـــينْ
الشَّجَراتُ حـــــولهُ كـــــأنهـــــا أهدابُ عَيْنْ
كـعـهـدِهِ بصـاحبِ الدَّارِ ظليلَ الجـانبـينْ
نَبَّأهُ الـــصَّدَى المـــرنُّ عـــن قُدومِ زائـــريـــنْ
فى فـجـرِ يومِ مـاطرٍ شَقَّ حـجـابَ ديمـتـينْ
كـــــأنما يَنْزِلُ منـهُ الوحـىُ حَبَّاتِ لجـــــينْ
فـــانتـــبـــهتْ خـــمـــيلةٌ تهـــزُّ عُشَّ طائرينْ
وشـــاعَ فى الغـــابةِ هَمْسٌ من شـفـــاهِ زهرتين
مَنِ الغـريبـانِ هُنا ؟ ومـا سُراهمـا ، وأينْ ! ؟
مـاذا قـدومـهُمـا والغـيثُ مِدرارُ
لا صـــاحبُ الدَّارِ طلاَّعٌ ولا الدَّارُ
هذى البحيرةُ وَسْنَى ، حُلْمُ ليلتـها
لمَّا تُفِقْ منهُ شطئـــانٌ وأغـــوارُ

والأرضُ تحتَ سحابِ الماءِ أخيلةٌ

مما يُصـــــــــوِّرهُ عُشْبٌ ونُوَّارُ

والصبحُ فى مهدِهِ الشرقىِّ ما رُفِعَتْ

عن وَرْدِهِ من نسيجِ الغَيْمِ أستارُ

حتَّى الجبالُ فما لاحتْ لها قِممٌ

ولا شدا لرُعاة الضأنِ مزمارُ

فمنْ هما القادمانِ ؟ الريحُ صاغيةٌ

لوَقْعِ خطوِهما والأرضُ أبصارُ !

أعادَ منْ زَمَنِ الأشباحِ سامرُهُ

فالليلُ والغابُ أشباحٌ وأسْمارُ ؟

أمِ البحيرةُ جنّياتُها طلعتْ

فهبٌ موجٌ يناديها وتَيَّارُ !

أمْ راصداً كوكبٍ ضلاً سبيلهما

لمَّا خَبَتْ من نجومِ اللَّيلِ أنوارُ

أمْ صاحبا سَفَرٍ مالَ الضنَى بهما

حَوَتْهما جَنَّةٌ للفنِّ معْطارُ

أم عاشقانِ تُرَى ؟ أم زائرانِ هما ؟

وهل مَعَ الفجرِ عُشَّاقٌ وزوَّارُ ؟ !

وأمسكَ الغيثُ كما لو كانَ يُصغى مثلَنَا
واعتنقتْ حتى وُريْقاتُ الغصونِ حولَنَا
كأنما تخشى النسيمَ أو تخاف الغُصنُنَا
وانبعثَ اللحنُ الشجيُّ من هنا ومن هنا
يثورُ فى إيقاعِه قيثارةً وأرْغُنَا
كأنَّ جِناً فى السماءِ يُشْعلونَ الفِتنَا
كأنَّ أرباباً بها يُحاكمونَ الزَّمَنَا
يا صاحبَ الإيقاعِ ما تعرفُ ما هجْتَ بنَا
ألفجرُ ؟ أم ثارتْ على الشمس بوارقُ السَّنى ؟
مَالَكَ قد غَنَّيتَهُ هذا النشيدَ المحزنَا
غَنَّيْتَهُ الهةً أمْ أنتَ غنَّيْتَ لنا ؟
ما ذلكَ الصوتُ شاجى اللحنِ سَحَّارُ
يُجْرِيهِ نبعٌ من الإلهام زَخَّارُ
فيه تَنَفَّسُ فوقَ السُّحبِ آلهةٌ
وآدميونَ فوقَ الأرضِ ثُوَّارُ
له مذاقٌ ، له لونٌ ، له أرَجٌ
خَمْرٌ أباريقُها شتَّى وأثمارُ
أشتفُّهُ وأُنادى كلَّ ناحيةٍ
مَنِ المُغَنِّى وراءَ الغابِ ، يا دارُ ؟

السمفونيّة هذى ! أم صدى حلُمِ
كما تَجاوبُ خلفَ الليلِ أطيارُ !
أعادَ للمِعْزَفِ المهجورِ صاحبُهُ
فعربدتْ فى يديهِ منهُ أوتارُ !
أظَلُّ أُصْغى وما من شُرْفةٍ فُتِحَتْ
ولا أزاحَ رِتاجَ البابِ ديّارُ
حتى الحديقةُ لَفَّتْ كوخَ حارسها
بصمتها ، فهما نَبْتٌ وأحجارُ
تواضعتْ بجلال الفنِّ ما ارتفعتْ
مثلَ البروجِ لها فى الجوِّ أسْوارُ
تُصْغى إلى هَمَسَاتِ الريحِ شيِّقةً
كأنما همساتُ الريحِ أخبارُ !
هنيهةً ، ثمَّ سمعنا هاتفاً مردِّدَا
يقولُ : قُمْ « يا سِجْفريدُ » ، فالصَّباحُ قد بدا
عرائسُ الوادى ألَمْ تضربْ لهنَّ موعدا ؟
ماذا ! قُمِ انفضِ الكَرَى ، ونَمْ كما شئتَ غدا
واخطرْ على الغابةِ منضورَ الصِّبا مُخلَّدا
خُذْ سيفكَ السحرىَّ صِيغَ جوهراً وعسجدا

قـــد لَقِيَ التنِّينُ منه فى العـــشـــيّةِ الرَّدَى
صـــــوتٌ مـعَ الريحِ سَرَى .. ، وللسكونِ أخلدا
فـأمْسَكَتْ صـاحـبـتى يدى وحـاطتْ بى يدا
تقـولُ : لم أسـمعْ كـهـذا اللحن أو هذا الصَّدَى
قلـتُ : ولا بمثلـهِ شـــــادٍ علـى الدهـرِ شَدَا
قـد باحَ بالنَّغَمِ الموعـودِ قـيـثـارُ
فـالفـجـرُ أحـلامُ عُشَّاقٍ وأسـرارُ
صـــحـــا يُفَصِّلُ رؤياهُ ويَعْبُرها
موجٌ على الشاطىء الصخرىِّ ثرثارُ
وزحزحتْ وَرَقَ الصفصافِ حانيةً
على البُحـيـرة أعـشـابٌ وأزهارُ
تُسـائلُ الماءَ : هل غَنَّتْهُ أو عَبـرتْ
شُهْبٌ بِهِ مـسـتـحـمـاتٌ وأقـمـارُ ؟
يا صاحبَ اللحنِ إنَّ الغابَ مُصْغِيةٌ
فأينَ من « سِجفريدَ » السيفُ والغارُ ؟
مـا زالَ فوقَ ندىً العشبِ مضجعُهُ
وَمِنْ يديه على الأغـصـانِ آثارُ
هذا النشيدُ ، نشيدُ الحبِّ ، تَعزِفُهُ
لـه عـــرائسُ ، مِثْلُ الوردِ ، أبكارُ

بَعَثْتَـــهنَّ من الأنغـــام أجنحـــةً

هـزيـزهـنَّ مَعَ الأفـــــــلاكِ دوَّارُ

فى صـــدرِ قـيـثـارةٍ أودعْتَهُ نَغَمـاً

مِزاجُهُ الماءُ والإعـــصـــارُ والنارُ

تُفْضِى بما شئْتَ من أسرارِ عالمها

فـــيـــهِ ليـــالٍ ، وأيامٌ ، وأقـــدارُ

حـتى الطبـيـعـةُ من ناسٍ وآلـهـةٍ

تمازجتْ فـهىَ ألحـانٌ وأشـعـارُ !

٢٥ – اللّه والشاعر

● لا تفـــزعي ، يا أرضُ ، لا تَفْرقي
مـن شَبَحٍ تحتَ الـدُّجى عـــــابرِ
مـــــا هـوَ إلاّ آدميٌّ شـــــقِي
ســـمّوْهُ بين الناسِ بالشـــاعـــرِ

● حنانَكِ الآن ، فـــــلا تُنكرِي
ســـبـــيلَهُ في ليلكِ العـــابسِ
ولا تُضلّيـــــهِ ، ولا تنْفـــــرِي
مِنْ ذلكَ المســـتـــصـــرخِ البـــائسِ

● مُدّي لعـينيـهِ الرّحـابَ الفِسـاح
ورقـــرقي الأضـــواءَ في جـــفـنهِ
وأمـــسكي ، يا أرضُ ، عـــصْفَ الرياحْ
والـرّاعـــــــدَ المُنصـبّ فـي أذنـهِ

● أنـتِ لـــهُ ، يـــا أرضُ ، أمٌّ رؤوم
فـــأشْهـــدِي الكونَ على شِقْوَتِهْ
وردّدي شـكـواهُ بـينَ الـنـجـــــومْ
فـــهـــوَ ابنُكِ الإنســـانُ في حَيْرتهْ

● مـــا هـوَ إلاّ صـــوتُكِ المُرْسَلُ
وروحُكِ المســـتـــعـــبَدُ المُرْهَقُ
قـــد آدَهُ الـدهـرُ بمـا يَحـــمِلُ
فـــجـــاءَ عنْ آلامـــهِ يَنطِقُ ؟

● طغَى الأسى الدّاوي على صـــوتِهِ
يـا لـلصَدَى مـن قـلـبـــهِ النّاطـقِ
مـــضـى يبثُّ الدهـرَ فـي خـــفْتِهِ
شـكـايـةَ الخَلْقِ إلـى الخـــالـقِ

● حـنانكَ اللـهمَّ ، لا تـغـضـبِ
أنتَ الجـمـيلُ الصـفحِ ، جمُّ الحنانْ
مـــا كـنتُ فـي شـكـوايَ بـالمذنـبِ
ومـنكَ ، يـاربِّ ، أخـــذتُ الأمـــانْ

● مـــا أنا بالزاري ولا الحـاقـدِ
لكنني الشّاكي شـــقـــاءَ البـــشَرْ
أفنيتُ عـــمـــري في الأسى الخـالدِ
فـجـئتُ أسـتـوحـيكَ لُطْفَ القـدَرْ

● تمـرَّدتْ روحـي عـلـى هـيكـلـي
وهـيكلُ الجـــسمِ كـــمـــا تعلمُ

ذاكَ الضـــعـــيفُ الرأيِ لـم يفـــعلِ
إلاَّ بمـا يـوحـي إلـيـــــــهِ الـدمُ !

● يَعـرُقُ حـدُّ السّـيْفِ مـن لحـمـهِ
ويـحـطـمُ الـصّفـــــوانُ بـنيـــــانَهُ
وينـخـــــرُ الجـــــرثـومُ في عـظمـــــهِ
ومـنـهُ يُنْمـي الـقـــــبـــــرُ ديدانَهُ !

● مـــا هوَ إلاَّ كـومـةٌ من هبـــاءْ
تمحـــقـــهُ اللمـــســـةُ من غَضـــبـــتِكْ
فكيفَ يثني الروحَ عـــمـــا تَشـــاءْ ؟
وكـــيف يقـــوي ؟ وَهْيَ من قـــدرتِكْ ؟

● يا للشـــقيِّ القلب كمْ ســـامَهُ
تـوهُّم النعـــمـــــةِ مـــــا لا يُطيقْ
يُريـــــدُ أنْ يُقـــــنـــــعَ أوهـــــامَهُ
بـــأنـــتَهُ ذاكَ الخـــلـــيُّ الـطـلـيـــقُ

● هـــأنـــذا أرفـــعُ آلامـــَهُ
إلـى ســـمـــــاءِ المنقـــذِ الأعظمِ
أنـا الـذي تُرسـلُ أنـغـــــــــامَهُ
قـــيـــثـــارةُ القلب ، ونـايُ الفـمِ

● من عبراتي صُغتُ هذا المقالْ
ومن لهيبِ الروحِ هذا القَلَمْ
ملأتُ منهُ صفحاتِ الليالْ
فَضُمِّنَتْ كلُّ معاني الألمْ

● أنا الذي قدَّسْتَ أحزانَهُ
ألشّاعرُ الباكي شقاءَ البشَرْ
فَجَّرْتَ بالرحمةِ ألحانَهُ
فاملأ بها ، يارِبِّ ، قلبَ القدَرْ !

● ما الشاعرُ الفنّانُ في كونهِ
إلاّ يدُ الرحمةِ من ربِّهِ
مُعَزِّيَ العالمِ في حزنهِ
وحاملُ الآلامِ عنْ قلبهِ

● عزاؤهُ شعرٌ بهِ أهْزَجُ
في نَغَمٍ مستعذَبٍ ساحرِ
ما يَحْزَنُ العالَمُ أو يُبهجُ
إلاّ على قيثارةِ الشاعرِ

● يارِبِّ ، ما أشقيتني في الوجود
إلاّ بقلبي : ليتهُ لم يَكُنْ

فـي المـثـل الأعـلـى وحْبِّ الخـلـودْ
حـــمّلتـــهُ العبءَ الذي لم يَهُنْ

● خلقـتـهُ قلبـاً رقـيقَ الشّغَافْ
يهـــيمُ بالنورِ ويَهْوى الجـــمـــالْ
حَلَتْ لَهُ الـنـجـــــوى ولـذّ الـطـواف
بعـالمِ الحـسنِ ودنيـا الخـيـالْ

● بَعَثْتَهُ طيـراً خـفـوقَ الجـنـاحْ
عـلـى جِنـانٍ ذاتِ ظـلٍّ ومـــــاءْ
أطلقـتـهُ فـيـهـا قُبَيْلَ الصـبـاحْ
وقلتَ : غنِّ الأرضَ لحنَ الســمـــاءْ

● فـهـامَ في آفـاقـهـا الواسِعَة
النُّورُ يهـــفـــو حـــولَهُ والنَّدَى
مُصـــفِّقـــاً للضَّحْوَةِ الســاطعَةْ
ومُنشِداً مـــا شـــاءَ أنْ يُنشـــدا

● إنْ جـاءَ صـيفٌ أو تجلّى ربيعْ
حـــيّاهُ منهُ عـبـقـريُّ الغِناءْ
وكم خـــريفٍ في نشـــيـــدٍ بديعْ
تظلُّ تَرويهِ لـيـالـي الشـتـــاءْ

● قيثارةٌ تصدرُ في فنِّها
عن عالمِ السِّحرِ ودنيا الخفاءْ
على الصَّدَى الحائرِ من لحنِها
يستيقظُ الفجرُ ويغفو المساءْ

● مَشتْ على الأمواجِ أنغامُها
والأرضُ قَيْدُ النشوةِ المسكِرة
كأنَّما ترقُص أحلامُها
في ليلةٍ شرقيةٍ مُقمرة !

● من قلبِه أسلَمْتَ أوتارَها
فقلبُهُ يخفقُ في كفِّهِ
يشدو فتُملي النفسُ أسرارَها
عليه ، فهىَ اللحنُ من عزفِهِ

● ذاتَ صباحٍ طارَ لا يُمْهِلُ
والأرضُ سَكرى من عبيرِ الزهورْ
على حصاها رنَّمَ الجدولُ
وفي روابيها تُغنِّي الطيورْ

● ما كانَ يدري قبلَ أن ينظُراَ
ما خَبَأتْهُ النظرةُ العاجلة

مـــــا أبدعَ الحلمَ الذي صـــــوَّرَا
لـوْ لَمْ تَشُبْهُ اليـــــقْظَةُ القـــــاتلة !

● مـــرَّ بنهـــرٍ دافـــقٍ سلســـبيلْ
تهـــفـــو القـــمَارى[1] حـــولَهُ شـــادِيَهْ
في ضـــفـــتـــيـــهِ باســـقـــاتُ النخـــيلْ
ترعى الشـــيـــــاهُ تحـــتَهـــا ثاغِيَة

● فـــهـــاجـــتِ النظـرةُ ممـــا رأى
في قلبـــــهِ الســـــحـــــرَ وفي عـــــينهِ
الكونُ يبـــــدو وادعـــــاً هـانئـــــاً
كـــــأنـهُ الفـــــــردوسُ في أمنـهِ

● فظلَّ في التـفكيـر مسـتـغـرقـاً
من فـــتنةِ الدنيـــا وَمِنْ ســـحـــرِها
مـــا كـــانَ إلاَّ ريثـــمـــاً حـــدَّقـــا
حـــــتى جلَتْ دنيـــــاهُ عن ســـــرِّها

● رأى بعـــينيـــهِ الذي لـــم يـــرَهْ
الذئبَ ، والشـــاةَ ، وحـــربَ البـــقـــاءَ

---

(١) القُمْرِيُّ : ضرب من الحمام حسن الصوت .

مـــــا عَرَفَ القـــــتلَ ولا أبصـــــرهْ
ولا رأى مـن قَبْلُ لـونَ الـدمـــــــــاءْ !

● مـــــا هـى إلاَّ صـرَخَاتُ الفـزَعْ
وصـــيـــحـــةُ المقـــتـــولِ والقـــاتلِ
قـــدِ انقـــضـى الأمـــرُ كـــأنْ لـمْ يَقَعْ
وضـــاعَ صـــوتُ الحقِّ في البـــاطلِ

● وبعـدَ ســاعـاتٍ يُوَلِّي النهـارْ
ويقـــــبلُ الليلُ ، ومـــــا يعلمُ !!
ســـيلبثُ الســـرُّ وراءَ الســـتـــارْ
ويخـــتـــفي الشُّلُوُ ويُمـــحي الدمُ !!

● يا أرضُ ، ولِّى عـــهـــدُ نوحٍ وزالْ
فَمَنْ لكِ الـيـــــــومَ بطوفـــــانهِ ؟
مـــسكينةٌ تطوينَ بحـــرَ الليـــالْ
قـــد عـــزَّكِ المرسى بشطئـــانهِ !

● إلامَ تطوينَ عُبـــابَ السنينْ
شـــوقـــاً إلى فـــردوسكِ الضـــائعِ ؟
غُرِّرتِ ، يـــا أرضُ بمـــا تحـــلـــمـــينْ
فـــاســـتـــيـــقظي من حلمكِ الخـــادعِ !!

● وابقي كما أنتِ على موجهِ
تُمَزِقُ الأنواءُ منكِ الشراعْ
يقذفُكِ التيار في لجُهِ
عشواءَ لا يهديكِ فيهِ شُعاعْ

● سلي القداساتِ وأربابَها
ضراعةٍ تصغى إليها السماءْ
أو فاطرقي بالبثِّ أبوابها
لعلَّها ترفعُ عنكِ الشقاءْ !

● يا أيها الغادونَ والرائحونْ
في شُعَبِ الأرض وليلِ الهمومْ
تُمسونَ أشتاتاً كما تصبحونْ
والشمسُ حيْري فوقَكم والنجوم !

● فابتهلي للَّهِ ، واستغفري
وكفّرى عنكِ بنارِ الألمْ
وقدِّمي التوبةَ ، واستمطري
بين يَديْه عَبَراتِ النَّدَمْ !!

المحتويات

القصيدة		صفحة
١	فلسطين	١١
٢	مصر	١٣
٣	الجندول	١٥
٤	ليالى كليوبترة	١٩
٥	العام الهجرى الجديد	٢٣
٦	البحيرة	٢٧
٧	قبر شاعر	٣٦
٨	شاعر مصر	٤٢
٩	شوقى	٤٨
١٠	سورية وعيد الجلاء	٥٣
١١	بطل الريف : عبد الكريم الخطابى	٥٥
١٢	الأمسية الحزينة	٦١
١٣	الطبيعة المصرية	٦٦
١٤	على النيل	٦٧
١٥	القبرة	٧٠
١٦	الملاح التائه	٨٠

القصيدة	صفحة

١٧ – راكبة الدراجة ٨٤

١٨ – على حاجز السفينة ٨٦

١٩ – انتظار ٩٦

٢٠ – البحر والقمر ٩٩

٢١ – حلم ليلة ١٠٣

٢٢ – اعتراف ١٠٤

٢٣ – أندلسية ١٠٥

٢٤ – فلسفة وخيال ١١٠

٢٥ – الله والشاعر ١١٨

رقم الإيداع ٥٧٤٩ / ٩٦

I. S. B. N 977-01-4811-3

مكتبة الأسرة

بسعر رمزى جنيه واحد
بمناسبة

مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٦

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب

Bibliotheca Alexandrina
0268513

To: www.al-mostafa.com